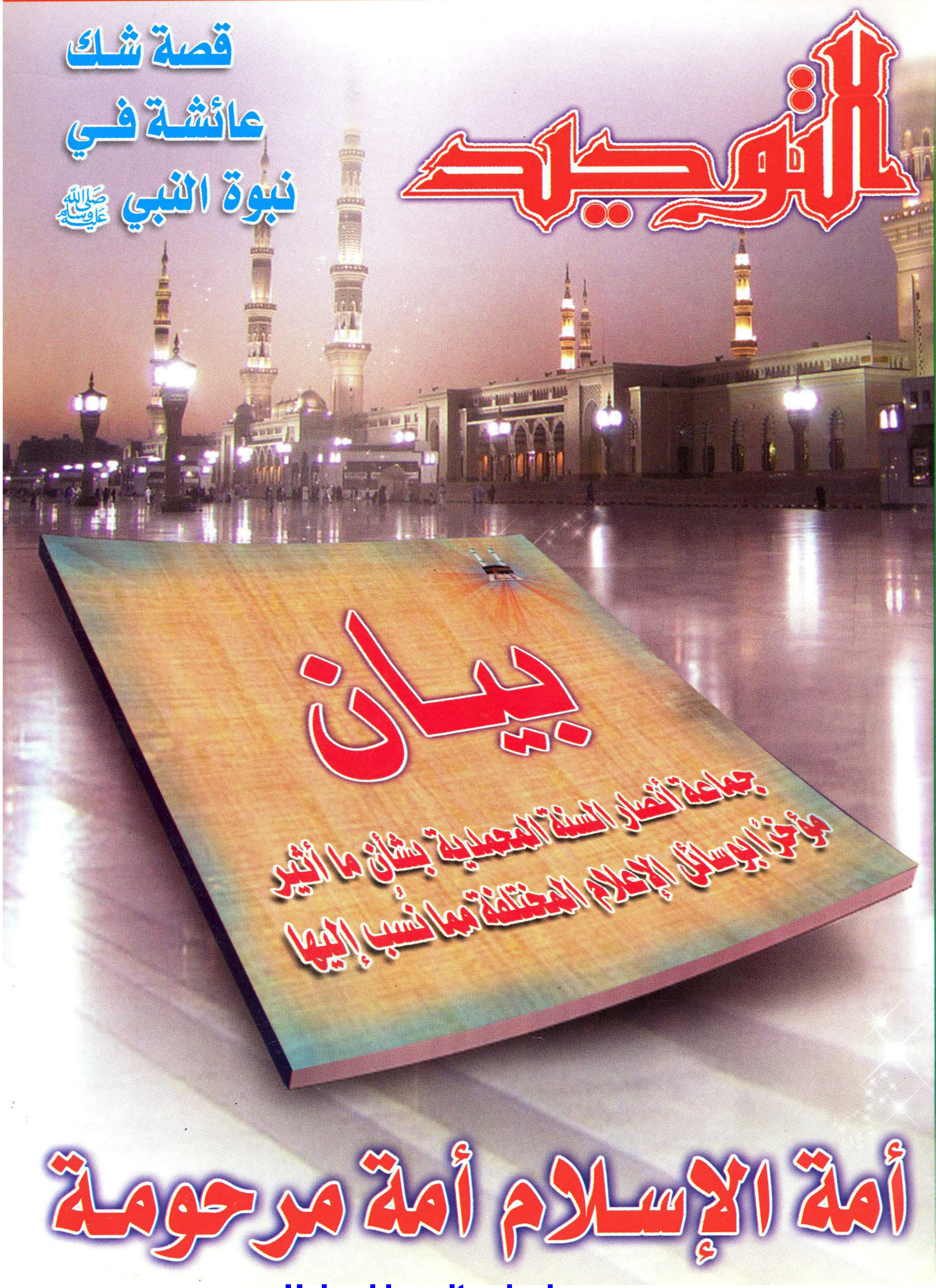
■ أنصار السنة .. جماعة دعوة وليسوا طلاب سُلْطَة !!

التوحيد

إسلامية - ثقافية - شهرية ■ تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ■ العدد ٤٧٠ - السنة الأربعون - صفر ١٤٣٢هـ ■ الثمن ٢ جنيه

قصة شك عائشة في نبوة النبي ﷺ



بيان

جماعة أنصار السنة المحمدية بشأن ما أثير مؤخراً بوسائل الإعلام المختلفة مما نُسب إليها

أمة الإسلام أمة مرحومة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الأربعون

العدد ٤٧٠ صفـــر ١٤٣٢ هـ

ثمـن النسخـة

مصر ٢٠٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتـراك السنـوي

١. في الداخل ٣٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢. في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

"السلام عليكم"

عندما ينطق الرويبضة

حينما يتكلم إنسان، لا يُعرَف في الناس بعلم ولا منزلة؛ غير أنه يُعرَف بإثارة الفتن التي لعن الله مَنْ أيقظها، ولأنه لا علم له ولا منزلة فإنه يحاول مع كل موقف أن ينسب إلى أنصار السنة، في حين أنهم بريئون منه لشذوذ أفكاره، ولغريب أقواله وأعماله التي لم يوافقه عليها لا قريب ولا بعيد.

الشيء الوحيد الذي يمكن أن يوصف به هذا الإنسان حقًا؛ أنه من علامات الساعة.

فقد وصف سيد البشر ﷺ أمثال هذا الإنسان بقوله: «إن بين يدي الساعة سنين خوادع ... قال: وينطق الرويبضة، قالوا يا رسول الله؛ وما الرويبضة قال: المرء التافه يتكلم في أمر العامة.

فلا يَصْلُح أن تقوم الدنيا وتقعد خلف مَنْ وصفه الرسول ﷺ بذلك.

التحريـر



مجلة التوحيد

لا يستغني عنها مسلم

المركز العام: هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

التحرير: ٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات: ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

SEE2070@HOTMAIL.COM

WWW.ALTAWHED.COM

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط



في هذا العدد

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

التنفيذ الفني

أحمد إبراهيم صوابي

البريد الإلكتروني

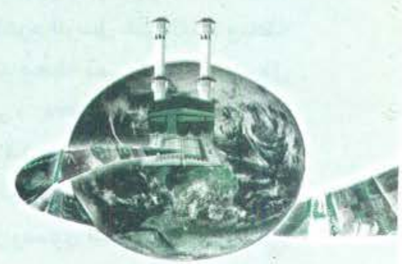
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

GSHATEM@HYAHOO.COM





التوزيع الداخلي:

مؤسسة الأهرام

وفروع أنصار السنة المحمدية

مطابع الأهرام التجارية - قليوب

افتتاحية العدد

أمة الإسلام أمة مرحومة

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله الذي جعلنا من خير أمة أُخرجت للناس، والصلاة والسلام على من رفع الله ذكره، وشرح صدره، وأعلى قدره، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعدُ:

فأمة النبي ﷺ أمةٌ مصطفاة مجتباة، فضّلها الله وميَّزها على سائر الأمم، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولكن هذه الخيرية مقيدة بما جاء في الآية نفسها: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، فبينت الآية أن الأمة خير الأمم بهذا القيد، فإن تركت ذلك فقدت خيريتها، وإن تحققت به استحقت ما ميزها بها رب العالمين سبحانه وتعالى.

وقد ذكر البخاري في صحيحه هذه الآية، ثم ساق كلام أبي هريرة رضي الله عنه ونصه: «قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام». [ح٤٥٥٧].

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم وفيتم سبعين أمة. أنتم خيرها وأكرمها على الله». [سنن ابن ماجه ٤٢٨٨ والدارمي ٢٧٦٠، وحسنه الألباني].

وقال ابن كثير في تفسيره: «وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد ﷺ، فإنه أشرف خلق الله، وأكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يُعْطَه نبيٌ قبله ولا رسول من الرسل». [تفسير ابن كثير ١ / ٥٣٧].

والله تبارك وتعالى قد رحم هذه الأمة برحمات متعددة، لم تنلها قبلها أمة من الأمم، ففي حديث أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أمتي هذه أمة مرحومةٌ، ليس عليها عذاب في الآخرة، عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل». [أخرجه أبو داود وأحمد والحاكم وصححه الألباني كما في الصحيحة: ٩٥٩].

قال الطيبي في معنى الحديث: «الحديث واردٌ في مدح أمته ﷺ، واختصاصهم من بين سائر الأمم بعناية الله تعالى ورحمته عليهم، وأنهم إن أُصيبوا بمصيبة في الدنيا حتى الشوكة يشاكها أنّ الله يكفر بها في الآخرة ذنبًا من ذنوبهم، وليست هذه الخاصية لسائر الأمم، ويؤيده ذكر هذه وتعقيبها بقوله: «مرحومة»، فإنه يدل على مزية تمييزهم بعناية الله تعالى ورحمته». [عون المعبود ١١ / ٣٥٩].

والمعنى أنهم مجزيُّون بخطاياهم في الدنيا بالمِحَن والأمراض وأنواع البلايا، وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، والمراد بقوله ﷺ: «ليس عليها عذاب في الآخرة» أي: أن عذابهم ليس كعذاب الكفار، كما أن الغالب في حقهم المغفرة.

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله عزَّ وجلَّ إذا أراد رحمة أمة من عباده؛ قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطًا وسلفًا بين يديها، وإذا أراد هلكة أمة؛ عذبها ونبيها حيّ، فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينه بهلَكتها حين كذبوه وعصوا أمره» [مسلم ٢٢٨٨].

وقد أورد الإمام مسلم هذا الحديث تحت باب: «إذا أراد الله تعالى رحمة أمة؛ قبض نبيها قبلها». [صحيح مسلم: ٤ / ١٧٩١]، وتحت باب سعة رحمة الله تعالى، وفداء كل مسلم بكافر ساق الإمام مسلم أحاديث منها:

ما جاء عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا، فيقول: هذا فكاكك من النار» [مسلم ٢٧٦٧].

ومنها ما جاء عن أبي بردة يحدث عن أبيه أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يموت رجل مسلم؛ إلا أدخل الله مكانه النار يهوديًا أو نصرانيًا». [مسلم ٢٧٦٧].

قال النووي رحمه الله في شرحه: «ومعنى هذا الحديث ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: لكل أحد منزل في الجنة ومنزل في النار، فالمؤمن إذا دخل الجنة؛ خلفه الكافر في النار؛ لاستحقاقه ذلك بكفره، ومعنى «فكاكك من النار» أنك كنت معرّضًا لدخول النار، وهذا فكاكك؛ لأن الله تعالى قدر لها عددًا يملؤها، فإذا دخلها الكفار بكفرهم وذنوبهم؛ صاروا في معنى الفكاك للمسلمين.

وأما رواية: «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب»، فمعناه: أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين، ويسقطها عنهم، ويضع على اليهود والنصارى مثلها؛ بكفرهم وذنوبهم فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين، ولا بد من هذا التأويل؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ويحتمل أن يكون المراد آثامًا كان للكفار سببٌ فيها بأن سنّوها؛ فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى، ويوضع على الكفار مثلها؛ لكونهم سنّوها، ومن سن سنة سيئة؛ كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها، والله أعلم». [شرح النووي على مسلم: ج١٧ / ٨٥- ٨٦].

ومن مظاهر رحمة الله بهذه الأمة: أن الله لا يهلكها بعذاب وقحط يشملهم جميعًا ويعمهم، ولله الحمد والشكر على ذلك، ويؤيد هذا ما جاء في حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي أن لا يهلكها بِسَنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء؛ فإنه لا يُرَدّ، وإني أعطيتك لأمتك: أن لا أهلكهم بسَنَةٍ عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها». [مسلم: ٢٨٨٩].

ومن مظاهر رحمة الله بهذه الأمة: أن خيريتها لا تنقطع، فالخير يعمها، وهو باقٍ فيها إلى يوم القيامة من أولها إلى آخرها، كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَل أمتي مَثَل المطر، لا يُدرى أوله خير أم آخره». [الترمذي ٢٨٦٩ وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٨٦)].

ومعنى الحديث: أن الخير شامل لجميع الأمة، وإن كان معلومًا أن القرن الأول خير من الثاني وهكذا، وقد رجّح ابن عبد البر أن الأفضلية المذكورة في حديث: «خير الناس قرني»، إنما هي بالنسبة إلى المجموع لا الأفراد». [انظر فتح الباري ٧ / ٦].

وقال ابن كثير بعد ذكره لهذا الحديث: «فهذا الحديث -بعد الحكم بصحة إسناده- محمول على أن الدين كما هو محتاج إلى أول الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها، وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم، وكذلك الزرع هو محتاج إلى المطر الأول، وإلى المطر الثاني، ولكن العمدة الكبرى على الأول، واحتياج الزرع إليه آكد، والغرض: أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة؛ لشرف دينها وعظم نبيها». [تفسير ابن كثير ٤ / ٣٧٣].

وقال الطيبي: «تمثيل هذه الأمة بالمطر إنما يكون بالهدى والعلم، كما أن تمثيله ﷺ الغيث بالهدى والعلم، فتختص هذه الأمة المشبهة بالمطر بالعلماء المكمّلين لغيرهم، فيستدعي هذا التفسير أن يُراد بالخير النفع؛ فلا يلزم من هذه المساواة الأفضلية، وإنما المراد وصف الأمة قاطبة سابقها ولاحقها وأولها وآخرها بالخير، وأنها ملتحمة بعضها مع بعض».

ومن مظاهر رحمة الله بهذه الأمة أنه: يضاعف لها الأجر، فتعمل العمل القليل، وتأخذ عليه الأجر الكبير، كما في حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثلكم واليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً، فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود على قيراط قيراط، ثم عملت النصارى على قيراط قيراط، ثم أنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغارب الشمس على قيراطين قيراطين، فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً؟ قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء». [البخاري: ٢٢٦٩].

قال ابن حجر: «وفي الحديث تفضيل هذه الأمة، وتوفير أجرها مع قلة عملها». [فتح الباري: ٤ / ٤٤٩].

ومن رحمة الله بهذه الأمة وفضله الواسع عليها أن عفا عن حديث النفس والوسوسة، فلا يحاسبهم عليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدّثت به أنفسها، ما لم تعمل به أو تكلم». [البخاري: ٦٦٦٤].

قال ابن حجر: «وفي الحديث إشارة إلى عظيم قدر الأمة المحمدية؛ لأجل نبيها ﷺ؛ لقوله: (تجاوز لي). وفيه إشعار باختصاصها بذلك، بل صرّح بعضهم بأنه كان حكم الناسي كالعامد في الإثم، وأن ذلك من الإصر الذي كان على من قبلنا». [المرجع السابق ج١١ / ٥٥٢].

ويؤيده الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من قبل، فقال النبي ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلّمنا». قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾. (قال: قد فعلتُ)، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قال: قد فعلتُ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، قال : قد فعلت، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، قال: قد فعلتُ». [مسلم: ١٢٦].

وهذا فضل عظيم، ومنة كبيرة من الرب الكريم على أمة الإسلام، ولم تنل أيّ أمة ما نالته هذه الأمة من المغفرة والرحمة.

وهذا يدل على عظيم مكانتها، وتقدمها على غيرها، وأن رسالتها هي الرسالة التي تصلح بها البشرية، وقد خوطبت بها منذ بعثة النبي ﷺ.

فاللهم لك الحمد على ذلك، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

كلمة التحرير

أنصار السنة جماعة دعوة وليسوا طلاب سُلْطَة !!

بقلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM

GSHATEM@YAHOO.COM

الحمد لله ولي الطائعين، وهادي العاصين، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين، وبعدُ:

فإن من أسباب الثبات على دين الله تعالى تجديد الإيمان بهذا الدين، وملء القلب منه باليقين، والإيمان الجازم بصواب ما نعتقده، فمن امتلأ قلبه قناعةً بصحة عقيدته ومنهجه لم تزعزعه الخطوب، ولم تُثنه الكروب، وهذا هو موقف النبي ﷺ في دعوته، حين حاربه الأقارب قبل الأباعد، وطُورِد وشُرِّد وحُوصِرَ وقُوطِع، وطُلب للقتل، واجتمع عليه الأحزاب، ولكن ذلك لم يثنِه عن مراده حتى بلَّغ دين الله تعالى.

وكذلك كان أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، قُيِّدُوا بالحديد، وقُطِّعت أجساد بعضهم، وصُلب آخرون، وأوذوا، ومستهم البأساء والضراء؛ فلم يزدهم ذلك إلَّا صلابة في دينهم، وثباتًا على المنهج الذي نهجوه مع معلم البشرية ﷺ، وصدقًا في سيرهم إلى الله حتى لقوا ربهم على ذلك ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ويضرب لنا تاريخ هذه الأمة العظيمة المَثَل بثبات رجلين قادا الأمة نحو الثبات على الدين، والاستمساك به، والدفاع عنه بالغالي والنفيس حتى قالوا: «أبو بكر يوم الردة، وأحمد يوم الفتنة»، وكذلك كان السلف الصالح من بعدهم، وما ذاك إلَّا لعقيدة راسخة في قلوبهم رسوخ الجبال، تزول الرواسي ولا يزول يقينهم بالله، وثقتهم به، وبنصره.

كلمة التحرير

والمجتمع بكافة طبقاته بحاجة إلى إعادة اهتمام بتقرير أساس هذا الدين من عقيدة وتوحيد، ودعوة إلى تبصير الأمة وتوحيدها بإرساء قضايا الإيمان بالله وشريعته الغراء (الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة)، بعيدًا عن مظاهر الغلو والتطرف، أو التساهل والتمييع المفضي إلى الإرجاء أو بعض صوره.

وجماعة أنصار السنة منذ نشأتها وعبر تاريخها الطويل تسير على درب التوحيد قولاً وعملاً، تنهج منهج أهل السنة والجماعة، وتدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فهي جماعة دعوية.. وليسوا طلاب سُلْطَة، تتمسك بما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

ومن أصول الجماعة ومبادئها التي ندين الله عز وجل بها: طاعة الله ورسوله ﷺ وأولي الأمر منهم، ولا نُكفّر أحدًا من أهل القبلة بذنب اقترفه، ولا نهدر دمه، ولا نرى الخروج على الحكام وإن جاروا.

الجماعة تتبرأ من فتاوى المدعين

وجماعة أنصار السنة إذ تسير على الدرب الذي ارتضاه الله لها وقرره مؤسسها، فمنذ النشأة وهي تؤصل منهجها كجماعة دعوية ضمن منظومة الدولة، تعد كمؤسسة دعوية بما تضمّه من فروع منتشرة في أنحاء البلاد تزيد على ٢٢٠ فرعًا للجماعة، متمثلة في مجلس إدارة المركز العام المنتخب من جمعيتها العمومية حسب القانون المنظّم للجمعيات الأهلية، وتنشر فكرها ودعوتها من خلال منابرها ومجلتها التي هي لسان حال الجماعة، ومع ذلك نجد بين الحين والآخر من يخرج علينا بفتوى ممن ينتسبون للجماعة تبلبلُ الأفكار، وتثير الفتن، وهم غير مخولين بالتحدث باسمها، والجماعة لها مجلس علمي يضم نخبة من علماء الجماعة وشيوخها يدلون بدلوهم عندما يستلزم الأمر، ومع ذلك يتجرأ بعض المبطلين على الفتوى لنيل هدف دنيوي، قد لا يجني من ورائه إلا البلاء المبين!!

إن المسلمين اليوم أحوج ما يكونون إلى إعادة ترسيخ معاني الإيمان والاعتقاد واليقين والثقة بالله، والولاء لهذا الدين، والثبات عليه حتى الممات، مهما عصفت الفتنُ أو ادلهمت الخطوب، ولقد مرّت بديار الإسلام محن شديدة ونكبات عديدة، انتهت فيها الخلافة الراشدة، وسقطت الدولة الأموية، والعباسية، وغير ذلك حتى سقوط الخلافة العثمانية، وهذا كله لم يؤثر في نفوس المسلمين شكًا في عقيدتهم، ولم يدفعهم إلى التطلع لما عند أعدائهم من أفكار ومبادئ وأساليب حياة وأنماط سلوك تخالف شريعتهم ويأباها دينهم، ولم يروا الحق إلاَّ في دين الله عقيدةً وسلوكًا ونظام حياة، وهذا هو معنى الاستعلاء في قول الله عز وجل: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، أي إن العزة والعلو يكون بالإيمان والثبات على الدين، لا بالغلبة ولا بالظهور أو متابعة أهل الأهواء ممن يبتغون الشهرة حُبًا في الدنيا؛ فغلب عليهم حب الظهور الإعلامي، واستثمار الأحداث السياسية، فمن هؤلاء من نصَّب نفسه مفتيًا بفتاوى تثير الفتن والفوضى، وتنمّ عن نقص علم شرعي يدعيه، مستغلاً انتماءه لجماعة دعوية كأنصار السنة المحمدية، وسماحة القائمين على تلك الجماعة وسعة صدورهم عندما يقع الخلاف، مما أوقع الجماعة في لغط هي في غنى عن الخوض في مضماره، وسخط شديد من المنتسبين للجماعة، ومن العارفين بمنهج الجماعة في الدعوة إلى الله، مما اقتضى أن تكون للجماعة وقفة صارمة، تؤصل فيها للقاصي والداني تبرأها من مثل هذه الأقوال والأفعال التي يحسبها البعض عليها، أو يعاتبها لعدم المسارعة بإبداء الرأي في مثل تلك المواقف، واتخاذ ما يلزم حيالها تجاه من يعطي لنفسه الحق بغير شرعية في التحدث باسمها بإصدار البيانات والفتاوى والكتب وينسبها إليها وهي منها براء !!

ردود الأفعال على صاحب الفتوى المجهول !!

وقد نشر موقع «المصريون» بعض ردود الأفعال على فتوى الإثارة التي بثها عامر على موقعه، وقال الموقع في ٢٤ / ١٢ / ٢٠١٠م: إن جهة أمنية استدعت عامرًا رئيس جمعية أنصار

السنة بدمنهور والذي أفتى بإهدار دم البرادعي المدير السابق للوكالة الدولية للطاقة الذرية، بعد أن أصدر فتوى جديدة بوجوب قطع رقبة البرادعي بدعوى أنه يدعو المصريين إلى العصيان المدني والخروج على ولي الأمر، معتبرًا في بيانه الصادر على موقعه الإلكتروني أن الدعوة للعصيان المدني من أساليب الخوارج، ومنازعة السلطان والخروج عليه، عقوبتها تبدأ من الزجر ثم الحبس ثم القتل، ولكن على يد الحكومة، وذلك من باب وأد الفتنة.

وحذرت الجهة الأمنية عامرًا من تكرار مثل تلك البيانات التي تحرِّض على القتل، وإهدار الدماء !!

وخاض عامر المعروف بآرائه المثيرة للجدل انتخابات مجلس الشعب عن دائرة دمنهور عام ٢٠٠٠م، وقد أدلى بصوته للدكتور مصطفى الفقي مرشح الحزب الوطني في انتخابات ٢٠٠٥م أمام مرشح الإخوان، كما أكد في مقابلة صحفية نُشرت مؤخرًا.

عامر يبدي استعداده ليكون عضوًا بالحزب الوطني

وأبدى عامر في تصريحاته خلال انتخابات مجلس الشعب الأخيرة، استعداده للانضمام للحزب الوطني قائلاً: «لو قالت الدولة: تعالوا شاركوا معنا، فأنا شخصيًا سأقول: لا مانع، طالما أنني سأدخل مكانًا مثل هذا لأقول كلمة لله، لا أقولها للدولة والنظام»، وبعد أن وصف «الحزب الوطني» بأنه حزب مسكين يريد أن يُبعد شبهة التطرف عن مصر دوليًا مع (الفوبيا) الإسلامية والضغوط العالمية.

المفتي يطالب عامر بالاستغفار

وقد استنكر الدكتور نصر فريد واصل، مفتي مصر الأسبق على محمود عامر فتواه المثيرة للجدل، مطالبًا إياه بالمسارعة إلى الاستغفار عن دعوته لإهدار دم البرادعي بسبب آرائه المعارضة لنظام الحكم في مصر؛ «لأن كلامه لا يجوز أن يقال بشأن مسلم نطق الشهادتين»، مدللاً بما ثبت شرعًا أنه لا يحل قتل المسلم إلا بما نص عليه القرآن الكريم والسنة النبوية.

وردًا على ادعاءات محمود عامر حول فتواه بإهدار دم البرادعي، استنادًا إلى رأي السلف الصالح؛ دحض مفتي مصر الأسبق هذه الحجة قائلاً: «السلف لم يفتوا بحل دم أحدٍ من المسلمين؛ حيث كان السلف إذا قال لهم قائل: ما حكم قتل السلطان، أو مَن ظلمَ الناسَ، أو يعمل على إثارة الناس؟ كانت فتواهم لا تخرج عن أن القتل لا يجوز؛ لأن ذلك عدون وظلم وجور».

أعضاء مجمع البحوث يردون على فتوى الإثارة

وقد رفض الدكتور عبد المعطي بيومي، عضو مجمع البحوث الإسلامية، فتوى عامر باعتبارها تؤدي لنشر العنف في المجتمع، وقال في تصريح لجريدة «المصري اليوم»: عهدنا من أنصار السنة عدم التدخل في الأمور والقضايا السياسية، وأولى بهم أن يظلوا على أفكارهم، بعيدًا عن الفتوى؛ لأن مثل هذه الفتاوى تفتح أبواب العنف والقتل، وتؤدي إلى التقاتل بين الناس.

منظمة حقوقية تطالب بمحاكمته

ونشرت جريدة «اليوم السابع» في ٢٠/ ١٢ / ٢٠١٠م على موقعها تقريرًا أدانت فيه المنظمةُ المصريةُ لحقوق الإنسان الفتوى التي أصدرها عامر ضد البرادعي، مطالبة النائب العام بالتحقيق في الأمر، وطالبت المنظمة في بيانها النائب العام بالتصدي بحزم تجاه الذين يصدرون فتاوى من حين لآخر تبيح القتل والترويع بين المواطنين، وتطبيق القانون بكل حزم وقوة على أصحاب تلك الفتاوى؛ انتصارًا لحرية الرأي والتعبير ودولة سيادة القانون، وحفاظًا على أمن المجتمع المصري وأمن مواطنيه بكافة فئاتهم.

كما أكد حافظ أبو سعدة رئيس المنظمة: أن الفتوى خطيرة جدًا، معتبرًا إياها جريمة تحريض على القتل مشددًا على أن التساهل مع مثل هذه الفتوى؛ سوف يفتح الباب على مصراعيه لتقويض أسس الدولة، مضيفًا أن هذه الدعوى تسيء إلى الإسلام وسماحته، وينبغي التصدي لظاهرة إهدار الدم، ومحاولة البعض فرض وصايته على المجتمع المصري.

علماء الأزهر يردون على الفتوى

وقد أبدى الدكتور سعد الدين الهلالي، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، على موقع «العربية»

كلمة التحرير

في ٢٠/ ١٢ / ٢٠١٠م: حزنه على المدعو عامر واستياءه أيضًا من هذه الفتوى قائلاً: أنا حزين على عامر، وأعتقد أنه تعجل في هذه الفتوى التي تمثل في نظري مفسدة، ولا أدري كيف نطق بها، وفيها افتئات على النص الشرعي.

وحول أوجه فساد الفتوى قال: «أولاً: إن محمود عامر قد افترض أنه يعيش في عهد الخلافة الإسلامية بما فيها من أحكام البيعة للحاكم، وافترض أيضًا تطبيق شروط البيعة في الوقت الحالي، بما فيها من حكم الخروج على الحاكم، لكننا اليوم لا نعيش في عصر الخلافة الإسلامية، بل نعيش في دولة عصرية تحكم بأصول ديمقراطية وقوانين منظمة للإضرابات والعصيان المدني».

وأضاف الدكتور سعد: «وإذا علمنا أنه يوجد قانون لتنظيم الإضرابات صدر منذ عام ١٩١٤م أي في عصر الخلافة العثمانية الإسلامية التي سقطت عام ١٩٢٤م، وبالتالي فإنه حتى في ظل الخلافة الإسلامية كان هناك قانون لتنظيم هذه الإضرابات، بما يعني أنه حق مكتسب للمواطنين، ومن هنا ينطبق القانون على البرادعي، مثله مثل بقية الناس الذين لهم حق الإضراب أو العصيان المدني؛ طالما كان في ظل القانون والشرعية التي اكتسبها».

واستطرد الدكتور سعد قائلاً: «إذا خرج البرادعي أو غيره عن أصول هذا القانون؛ فللحاكم تطبيق القانون أيضًا عليه، الذي وضع عقوبات لمن يخالف قانون الإضرابات، أو أي شكل من أشكاله، فالقانون هذا هو الذي يحكم بالسلب أو الإيجاب فعلاً وشرعًا، والدولة ليست في حاجة إلى فتوى من هذا المنطلق، وهي تعرف كيف تأخذ حقها من البرادعي».

وحذر الدكتور سعد من هذه الفتوى، متخوفًا من أن تثير فتوى إهدار دم البرادعي الفتنة، وتجر وبالاً على الدولة، بل على عامر نفسه، فقد يأخذ أحد الشباب بظاهرها، ويتعرض للبرادعي وأنصاره بالإيذاء، ومن جانب آخر سيُتَّهم عامر بأنه ينافق الدولة، وهي ليست في حاجة إلى نفاقه!!

الفتوى متهورة وليس عليها أي دليل

كما وصف الدكتور محمد رأفت عثمان، عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الفتوى بأنها متهورة وليس عليها أي دليل شرعي؛ لأن البرادعي لم يطالب الشعب المصري بثورة على النظام الحاكم، وبالتالي ليس هناك خروج عليه، وإنما أراد أن يدعو إلى تغيير سياسات النظام المصري بوسائل ضاغطة، منها العصيان المدني.

وأضاف الدكتور عثمان أن إهدار الدماء ليس بهذه السهولة في الإسلام، فالأمور التي يزاولها الإنسان في حياته الأصل فيها الإباحة، إلاَّ أن يرد نص بالتحريم من الشرع، موضحًا أن العلماء أجمعوا على أن الأصل في الدماء التحريم.

وقال: إن تربص الناس بقتل إنسان خطأ فاحش، والاختلاف في الآراء يكون بالحوار والقول الحسن، قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقر: ٨٣].

إن الاستخفاف بالفتوى، وإعطاء الحق لكل من تسوَّل له نفسه أن ينصِّب من نفسه مفتيًا ومصدرًا لفتاوى الفتنة التي لا ينتج عنها إلاَّ الفوضى والغوغائية التي انتشرت، قد ساءت العقلاء أصحاب الفكر الذين انزعجوا منها ومن قائلها، وألصقت بالجماعة اتهامات هي في غنى عنها.

وجماعة أنصار السنة المحمدية لن تتوانى في محاسبة هؤلاء المقصرين الخارجين عن منهج الجماعة؛ الذين يحاولون ركوب الموجة، والبحث عن الشهرة من أي طريق كان، ولكن هيهات، فما عند الله أعظم، فلنتق الله، ولنرجع إليه قبل فوات الأوان، وصدق الله إذ يقول في محكم تنزيله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

والله من وراء القصد.

ونسأل الله تعالى العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، والحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

سورة الصافات

الحلقة الثالثة

قال تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٢) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤) وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الصافات: ٦١- ٨٢].

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي
نائب الرئيس العام

اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد

لمَّا ذكر الله تعالى نعيم أهل الجنة؛ قال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ أي: لمثل هذا العطاء الجزيل، والفضل العظيم، فليعمل العاملون، فإنَّ هذه هيَ التِّجارةُ الرَّابحة، لا العملُ للدُّنْيا الزَّائلة، فإنَّها صفقةٌ خاسرة، نعيمُها مُنْقطع، وخيْرُها زائل، وصاحبُها عنْ قريب منْها راحل [فتح القدير(٤ / ٣٩٧).]، فمنْ آثرها خسر الدُّنْيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، كما قالَ تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦].

طعام أهل النار

ولما ذكر الله تعالى نعيم أهل الجنة؛ انتقل إلى ذكر عذاب أهل النار، وبدأ بهذا السؤال للمفاضلة: ﴿أَذَلِكَ﴾ النعيم الذي ذكرناه ووصفناه، ﴿خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ النُّزُل هو ما يُعدُّ للضيف، وما يُهيأ لإكرامه، فهذا ما أعدَّه الله نُزلاً لأهل الجنة. ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ التي هي ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٤]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: جعلنا شجرة الزقوم فتنة، والفتنة تُطلق ويُراد بها الاختبار والابتلاء، وتُطلق على العذاب، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، أي: نختبركم وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات: ١٣-١٤].

فقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً

للظالمين﴾ فتنة الآخرة تعني العذاب، وفتنة الدنيا تعني الاختبار والابتلاء والامتحان؛ لأن الله تعالى فتنهم؛ فقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾، فقالوا منكرين: النار تأكل الأخضر واليابس، ومحمد يقول في النار شجرة، كيف يكون في النار شجرة؟! فكانت فتنة للظالمين الكافرين المشركين الذين لا يؤمنون بهذا القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، فالرؤيا هي ما رآه ﷺ ليلة الإسراء، والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم، خوّف الله بها عباده؛ فافتتنوا بذلك، حتى قال أبو جهل: زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرةً، والنار تأكل الشجر، وإنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد، فتزقموا، فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾، يقول: إني خلقتها من النار، وعذبت بها من شئت من عبادي. [جامع البيان(١٥ / ١١٤).].

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ يعني: جذرها في الدرك الأسفل من النار، و﴿طَلْعُهَا﴾، يعني أغصانها وفروعها في جميع الدركات. ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾، فشبّه الله تعالى طلع شجرة الزقوم برءوس الشياطين لجامع القبح والسوء بينهما، ونحن وإن كنا لم نر رءوس الشياطين إلا أنه قد استقر في نفوسنا أنها قبيحة، وسيئة، ومخيفة، كما استقر في نفوسنا أن صورة الملائكة حسنة، وجميلة، تسر الناظرين، ولذلك لما خرج يوسف عليه السلام على النسوة ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

شراب أهل النار

فهذا هو طعام أهل النار، ومن المعروف أن الإنسان إذا استقبح شيئًا لم يأكله، وإذا أكل شيئًا فلم يستسغه لَفَظَهُ ولم يزد منه، إلا أن أهل النار يأكلون ما يستقبحون ولا يستسيغون، ومع ذلك يملئون منه البطون، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾، وإذا أكل الإنسان وملأ بطنه؛ احتاج إلى الماء، فسُقُوا ماءً حميمًا، حارًا شديدًا، فقطّع أمعاءهم. قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ خلطًا ومزجًا ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ من ماء حار، شديد الحرارة، يقال: إنهم إذا أكلوا الزقوم شربوا عليه الحميم، فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم، فيصير شوبًا له. ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ بعد شرب الحميم ﴿لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾، وذلك أنهم يوردون الحميم لشربه، وهو خارج من الجحيم، كما تُورد الإبل الماء، ثم يردون إلى الجحيم، كما قال تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمن: ٤٤] [معالم التنزيل ٤ / ٥٦٣]. ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥٦]، فأي النُّزُلين خير؟ نُزُل الأبرار في جنات النعيم، أم نُزُل الفجار في سواء الجحيم؟!

اتبعوا ولا تقلدوا

والسبب في هلاك الظالمين: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾، يعني أنهم وجدوا آباءهم في ضلال مبين، فأسرعوا في اتباعهم واقتفاء آثارهم بلا فكر ولا روية، ولم يستجيبوا لداعي العقل ولا دعاة الهدى، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وهذا هو التقليد المذموم، ولا يقلد إلا عصبيّ أو غبيّ، والواجب على المكلف أن ينظر فيما عليه الناس من حوله، من آباء وغيرهم، وأن يتبع أهل الحق منهم، آباء أو غيرهم، وهذا هو ما فعله الخليل إبراهيم وابنه

يوسف عليهما السلام.

لقد نظر إبراهيم ﷺ فيما عليه أبوه وقومه فرآهم في ضلال مبين، فتبرأ منهم ومما يعبدون من دون الله، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٦٩-٧٧].

ويوسف عليه السلام نظر فيما عليه آباؤه وفيما عليه الناس، فرأى الناس في ضلال مبين، ورأى آباءه على الحق المبين، فترك ما عليه الناس، واتبع الحق الذي عليه آباؤه، وقال لصاحبيه في السجن، وقد وجدوا عليه علامات الصلاح وأمارات الإحسان: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧-٣٨]، ولكن أكثر الناس عن هذه الحقيقة غافلون، ولذلك اتبعوا آباءهم على ما هم عليه، ولو كانوا في ضلال مبين.

وجوب الاعتبار بما أصاب المكذبين

قال تعالى مخوفًا للمشركين ومذكرًا لهم بعاقبة الضالين قبلهم: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ فحقت عليهم كلمة العذاب بعدما كذَّبوا المرسلين الذين دعوهم إلى الهدى والحق المبين، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾؛ لأن من رحمة الله بعباده أن لا يعذبهم حتى يعذرهم من أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، ولكن القوم لم يستجيبوا لربهم وعصوا رسله؛ فأخذهم العذاب، فكانوا من المهلكين، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ الذين أصروا على التمسك بما عليه آباؤهم، ورفضوا اتباع رسل ربهم، ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الذين استجابوا لربهم واتبعوا رسله فقد نجاهم الله تعالى من العذاب المهين، وهذه سُنته سبحانه دائمًا، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٢- ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٧-١٨]، وقال عنهم في موضع آخر: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٠- ٥٣].

قصة نوح عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾. لما أجمل الله تبارك وتعالى عاقبة الرسل وأقوامهم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٢) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ٧٢- ٧٤].

ولما أجمل الله تبارك وتعالى عاقبة الرسل ومن آمن بهم، وعاقبة من كفر بهم وكذَّبهم في هذه الآيات؛ أخذ سبحانه وتعالى يقصّ علينا من ذلك شيئًا بالتفصيل، فبدأ بذكر قصة أول رسول بعثه إلى أهل الأرض، وهو نوح عليه

السلام.

فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾:

ولقد نادانا أي: دعانا، واستغاث بنا، وذلك أنه عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً؛ يدعوهم إلى التوحيد، ونبذ ما هم فيه من الشرك وعبادة غير الله، فأصروا واستكبروا استكباراً، وعقدوا مؤتمرات خرجوا منها بتوصيات، ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٢]، فدعا ربه: ﴿رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦- ٢٧]، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر: ٤٠]، ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون: ٢٦]، فأجاب الله دعاءه، وأعطاه سؤله، فقال:

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾، في الكلام فعل محذوف دلّ عليه المذكور تقديره: فأجبناه، ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٧]، وكما قال سبحانه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٠- ١٤].

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ من آمن منهم إلا امرأته وأحد أولاده﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾، وأيّ كرب أعظم من هذا الكرب الذي عمّ القوم، عمّ أهل الأرض، وهو الطوفان؟!!

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾؛ فإن كل الناس ذرية من حمل الله تعالى مع نوح عليه السلام في السفينة، ولذلك دائماً نقول: نوح أبو البشر الثاني، وآدم أبو البشر الأول؛ لأن أهل الأرض الموجودين الآن من ذرية نوح عليه السلام.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾ أي في العالمين من بعده ذكراً حسناً، وثناء عطراً، فلا يُذْكَر نوح عليه السلام إلا بالخير، ولا يُذْكَر إلا بالثناء الحسن، يدل عليه ما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ هذا الذي أبقاه الله تعالى لنوح عليه السلام إلى يوم القيامة، أنه لا يُذْكَر إلا ويُسَلَّم عليه الناس كلهم على اختلاف مللهم وأجناسهم ودياناتهم، وكان هذا من الله جزاءً حسناً لإحسان نوح عليه السلام فيما بينه وبين الله، ولذلك قال: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ أي كما جزينا نوحاً عليه السلام ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، فنوح عليه السلام أحسن فيما بينه وبين الله عز وجل فأحسن الله إليه، وكل من يحسن فيما بينه وبين الله؛ يحسن الله إليه.

ثم فسر الله تبارك وتعالى إحسان نوح عليه السلام بالإيمان؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ ليفيدك أن أحسن خصلة تكون فيما بينك وبين الله هي خصلة الإيمان.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ﴾ الذين لم يركبوا معه في السفينة.

وهكذا بإيجاز عرض الله تبارك وتعالى علينا كيف أهلك قوم نوح لما كذبوا نوحاً، وكيف أنجا نوحاً ومن آمن معه، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ٧٣- ٧٤].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المحسنين، وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وظلمنا لأنفسنا.

والحمد لله رب العالمين.

باب السنة

من علامات الساعة: كثرة شرب الخمر واستحلالها



إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله رب العالمين، نحمده حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شاء ربنا من شيء بعد، ونصلي ونسلم على خير خلق الله والمبعوث رحمة وهداية للناس جميعًا محمد بن عبد الله نبي الهدى والرحمة، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه؛ وبعدُ:

ففي العددين الماضيين تحدثنا عن قبض العلم، وانتشار الزنا كعلامتين من علامات الساعة، ووعدنا بمواصلة الحديث عن أشراط الساعة الواردة في حديث أنس رضي الله عنه؛ المخرَّج في الصحيحين وغيرهما، وفي هذا العدد نتكلم عن كثرة شرب الخمر كما جاء في نفس الحديث في الموضع الأول في صحيح الإمام البخاري تحت رقم (٨٠) باب (رفع العلم وظهور الجهل) من كتاب العلم. وفيه: عن أبي التياح عن أنس - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : «إن من أشراط الساعة: أن يُرفع العلمُ ويثبت الجهل، وتُشرب الخمر، ويظهر الزنا». وسبق تخريج حديث أنس هذا في العددين الماضيين.

المراد بشرب الخمر كعلامة من علامات يوم القيامة

المراد: كثرة شرب الخمر، واشتهاره، وقد جاء ذلك مصرحًا به عند الإمام البخاري في كتاب النكاح من طريق هشام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه: «ويكثر شرب الخمر»، فالعلامة إذن هي كثرة شرب الخمر، واشتهار ذلك، واستحلاله أيضًا.

كثرة شرب الخمر

في المجتمع المسلم قد تحدث المعاصي والمخالفات، ولكنها تكون قليلة، ولاسيما مع شيوع الطاعات والعمل بها، وانتشار تقوى الله تعالى بين الناس، وكثرة الصالحين؛ فمن وقع في معصية تستوجب حدًّا فإنه يطلب إقامة الحد عليه، ويطلب من الحاكم أن يطهِّره، موقنًا بأن عقاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فنقرأ عمن يأتي إلى النبي ﷺ فيقول: زنيت فطهرني، أو يؤتى بمن شرب الخمر ليقام عليه الحد، ولقد ثبت أن النبي ﷺ جلَدَ في شرب الخمر، وكذا خليفته الصديق جلَدَ في شُرْب الخمر، ومن بعدهما عمل بذلك خلفاء المسلمين وأمراء المؤمنين؛ فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ ضرب في الخمر بالجريد والنِّعال، وجلد أبو بكر أربعين. (خ: ٦٧٧٣، م: ١٧٠٦).

وأخرج البخاري عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتي بنعيمان - أو بابن نعيمان - وهو سكران، فشق عليه، فأمر من في البيت أن يضربوه، فضربوه بالجريد والنِّعال، وكنت فيمن ضربه. [ح ٦٧٧٥].

وأخرج عن السائب بن يزيد - رضي الله عنه - قال: كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله ﷺ، وإمرة أبي بكر، وصدرًا من خلافة عمر، فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا،

حتى كان آخر إمرة عمر فجلد أربعين، حتى إذا عَتَوْا وفسقوا جلد ثمانين. [ح ٦٧٧٩].

وهكذا كلما تطاول العهد؛ كثر شرب الخمر، وكثرت المعاصي؛ بسبب تهاون الناس بدينهم وقلة الوازع في قلوبهم، حتى انتشر ذلك وفشا في مجتمعات المسلمين، ودول الإسلام تتبارى وتتسابق في استجلاب أهل الكفر للعمل أحيانًا، وللسياحة أحيانًا أخرى، وفيهم من المعاصي وارتكاب الفواحش والرذائل مما يشجِّع أبناء المسلمين على تقليدهم، وذلك فضلاً عما تنقله وسائل الإعلام المختلفة في عصرنا الذي تقاربت فيه المسافات، وتفرض على أبناء المسلمين الأخلاق والعادات التي لا تتفق مع دينهم ولا مع أخلاقهم الإسلامية، وإنما يشيع ذلك ويستطير في المجتمعات التي ينتشر فيها الجهل بالدين، وبأحكام شريعة رب العالمين، ولقد رأينا الإنسان الذي لا يبالي بأخلاقه ولا بإنسانيته يتمرغ في قاذوراته ونجاساته حين ذهب عقله بما خامره من شرب المسكر، والشباب الضائع يقضي على شبابه وحيويته بالمسكرات المختلفة، وأهل الباطل يزينون له ذلك، بل يوفرون له السُّكْر بطرق حديثة تشتمل على حبوب وحقن، وغير ذلك من الوسائل المتطورة، فلم يعد الأمر قاصرًا على الشرب أو على تدخين المخدرات أو ابتلاع المُفَتِّرَات، بل تعدى ذلك إلى وسائل وسبل لم تكن معروفة من قبل.

وقد تناسى المسلمون ما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من الأمر باجتناب الخمر وكل مسكر، والتحذير من تعاطي ذلك، وأن من شرب الخمر في الدنيا؛ فإنه يُحْرَمها في الآخرة؛ فقد جاء في كتاب الله تعالى قوله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، فقد بينت الآية أن الخمر رجس، وأنها من عمل الشيطان، وأمرت باجتنابها، وعلّقت الفلاح على ذلك الاجتناب، وفوق ذلك كله قرنت الخمر بالأنصاب والأزلام والميسر، وكل ذلك من أعمال الجاهلية.

وجاء في سنة رسول الله ﷺ من الأحاديث الكثير، ومن ذلك:

حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سُئل رسول الله ﷺ عن البِتْع - وهو نبيذ العسل وكان أهل اليمن يشربونه - فقال رسول الله ﷺ: «كل شراب أسكر فهو حرام». [متفق عليه].

وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر خطب على منبر رسول الله ﷺ فقال: إنه قد نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة أشياء: العنب، والتمر، والحنطة، والشعير والعسل، والخمر ما خامر العقل». [متفق عليه].

وحديث أبي الجويرية قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن الباذَق، فقال: سبق محمدٌ ﷺ الباذَقَ؛ فما أسكر فهو حرام، قال: الشراب الحلال الطيب، قال: ليس بعد الحلال الطيب إلا الحرام الخبيث. [البخاري: ٥٥٩٨].

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما في حرمان من شرب الخمر في الدنيا من خمر الجنة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتبْ منها؛ حُرِمها في الآخرة». [متفق عليه].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في انتفاء الإيمان عمن شرب الخمر حين يشربها، قال فيه: إن النبي ﷺ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن... الحديث». [متفق عليه].

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة، وقد أجمع علماء الأمة على تحريم الخمر؛ حفاظًا على عقول المسلمين من التلف والضياع.

اشتهار شرب الخمر

انتشر شرب الخمر والمخدرات في كثير من بلاد المسلمين، وشرب الخمر أكثر، حتى إنها لتُباع جهارًا وتُشرب علانية، مع أن رسول الله ﷺ لعن فيها عشرة؛ كما جاء في حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، ومبتاعها، وبائعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه». [رواه أبو داود (٣٦٧٤)، واللفظ له، وابن ماجه (٣٣٨٠)، وزاد: «وآكل ثمنها»، وصححه الألباني].

وكما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتراة له». [رواه ابن ماجه (٣٣٨١)، والترمذي (١٢٩٥) واللفظ له، وحسنه الألباني في الترغيب والترهيب].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله حرم الخمر وثمنها، وحرم الميتة وثمنها، وحرم الخنزير وثمنه». [أبو داود (٣٤٨٥)، وصححه الألباني].

فهل يصح لأمة الإسلام بعد هذه النصوص وغيرها أن تقر الخمر، وشربها، وصنعها، والتجارة فيها؟ والشرع يحتّم على أمة الإسلام أن تنتهي عما نهى الله تعالى عنه ورسوله ﷺ؛ لتسعد في الدنيا، وتحظى بجنة الله تعالى في الآخرة، فإن بعض شراح الحديث قال في حديث: «من شرب الخمر في

الدنيا، ثم لم يتب منها؛ حرمها في الآخرة» بأن ذلك قد يُشعر بعدم دخوله الجنة، ولو دخلها فإنه يُحْرَمُ بعض نعيمها، ومن نعيم الجنة أنهار من خمر لذة للشاربين كما وصفها رب العالمين في كتابه، وقال عنها أيضًا : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧] أي : لا كدر فيها فلا يعرضون عنها؛ لأنها تختلف عن خمر الدنيا، فلا سُكْر فيها، ولذتها لذة عامة عظيمة، فإن الذين يشربونها في الدنيا فإنما يغصون بها، وذلك في سبيل تخمير عقولهم وتغطيتها حتى ينسوا هموم الدنيا - في زعمهم - وهذا من عمى البصيرة؛ فإن الإنسان قد كرمه الله تبارك وتعالى بعقله الذي يدرك به النافع من الضار، والحق من الباطل، فمن يعمل على إذهاب عقله، وإزهاق تفكيره؛ فقد كفر بنعمة الله تعالى التي أنعم بها عليه.

استحلال شرب الخمر وتسميتها بغير اسمها

لقد استحل كثير من هذه الأمة الخمر، وقد أطلقوا عليها أسماء كثيرة؛ حتى سُميت بالمشروبات الروحية، ونحو ذلك، بل قد يرخص في بيعها والاتجار فيها، وربما أقرت في المجالس النيابية في بعض البلاد الإسلامية، وطلب تقنينها، مع أن هذه البلاد تجرم وتحرم شرب المخدرات والاتجار فيها، وربما قضت بعقوبة القتل في المخدرات، والأصل في السكر الخمر، والمخدرات مقيسة عليها، ولقد حذر النبي ﷺ من ذلك، وبيّن أن ذلك دليل فساد الزمان وانتشار الشر فيه، ودليل أيضًا على قرب قيام الساعة، فمن ذلك حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لتستحلنَّ طائفة من أُمتي الخمر باسمٍ يسمونها إياه». [أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٥ / ٣١٨، وابن ماجه في سننه ٣٣٨٥، وصححه الألباني].

وحديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تذهب الليالي والأيام حتى تشرب فيها طائفة من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها». [ابن ماجه ٣٣٨٤، وصححه الألباني].

ومن ذلك أيضًا حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه الذي ساقه الإمام البخاري هكذا.

وقال هشام بن عمار نا صدقة بن خالد نا عبد الله بن يزيد نا عطية بن قيس الكلابي حدثني عبد الرحمن بن غَنْم الأشعري، حدثني أبو عامر - أو أبو مالك - الأشعري والله ما كَذَبَني؛ سمع النبي ﷺ يقول : «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب عَلَم، يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم لحاجة فيقولون : ارجع إلينا غدًا، فيُبَيِّتهم الله، ويضع العَلَم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة». [ح٥٥٩٠]. وذلك تحت باب (ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميها بغير اسمها).

قال الحافظ في الفتح : وذكر ابن التين عن الداودي قال : كأنه يريد بالأمة من يتسمى بهم ويستحل ما لا يحل لهم؛ فهو كافر إن أظهر ذلك، ومنافق إن أسره، أو من يرتكب المحارم مجاهرة واستخفافًا فهو يقارب الكفر وإن تسمى بالإسلام؛ لأن الله لا يخسف بمن تعود عليه رحمته في المعاد.

قال : وقال ابن المنير : إن من كان من الأمة المحمدية يبعد أن يستحل الخمر بغير تأويل، إذ لو كان عنادًا ومكابرة لكان خارجًا عن الأمة؛ لأن تحريم الخمر قد عُلِمَ بالضرورة، قال : وقد ورد في غير هذا الطريق التصريح بمقتضى الترجمة، لكن لم يوافق شرطه؛ فاقتنع بما في الرواية التي ساقها من الإشارة. قلت (القائل هو الحافظ ابن حجر): الرواية التي أشار إليها أخرجها أبو داود من طريق مالك بن أبي مريم عن أبي مالك الأشعري عن النبي ﷺ : «ليشربن ناس الخمر يسمونها بغير اسمها». وصححه ابن حبان، وله شواهد كثيرة : منها لابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت رفعه : «يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها». ورواه أحمد بلفظ : «ليستحلن طائفة من أمتي الخمر». وسنده جيد، وأورد حديث أبي أمامة الباهلي عند ابن ماجه الذي سقناه من قبل، وكذا ذكر ما أخرجه الدارمي بسند لين من طريق القاسم عن عائشة - رضي الله عنها - : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول ما يكفأ الإسلام كما يكفأ الإناء كفء الخمر». قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : «يسمونها بغير اسمها فيستحلونها». وأخرجه ابن أبي عاصم من وجه آخر عن عائشة، إلى أن قال : قال أبو عبيد : جاءت الخمر في آثار كثيرة بأسماء مختلفة، فذكر منها : السَّكَر، قال : وهو نقيع التمر إذا غلي بغير طبخ، والجِعَة : نبيذ الشعير، والسُّكُرَكَة : خمر الحبشة من الذرة، إلى أن قال : وهذه الأشربة المسماة كلها عندي كناية عن الخمر، وهي داخلة في قوله ﷺ : «يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها». ويؤيد ذلك قول عمر رضي الله عنه : «الخمر ما خامر العقل».

وقد زعم ابن حزم أن حديث أبي مالك الأشعري: «ليكونن من أمتي..» منقطع لم يتصل ما بين البخاري وصدقة بن خالد، ورد عليه العلماء شُراح البخاري وغيرهم، وممن رد عليه العلامة ابن القيم في «تهذيب سنن أبي داود»، وبين أن ما قاله ابن حزم باطل من ستة أوجه :

١- أن البخاري قد لقي هشام بن عمار وسمع منه، فإذا روى عنه معنعنًا؛ حُمل على الاتصال اتفاقًا، لحصول المعاصرة والسماع، فإذا قال: «قال هشام»؛ لم يكن فرق بينه وبين قوله: «عن هشام» أصلاً.

٢- أن الثقات الأثبات قد رووه عن هشام موصولاً؛ قال الإسماعيلي في «صحيحه»: أخبرني الحسن: حدثنا هشام بن عمار» بإسناده ومتنه.

٣- أنه قد صح من غير حديث هشام، فرواه الإسماعيلي وعثمان بن أبي شيبة بسندين آخرين إلى أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

٤- أن البخاري لو لم يلق هشامًا ولم يسمع منه؛ فإدخاله هذا الحديث في صحيحه، وجزمه به يدل على أنه ثابت عنده عن هشام، ولم يذكر الواسطة بينه وبين هشام؛ إما لشهرتهم، وإما لكثرتهم، فهو معروف مشهور عن هشام.

٥- أن البخاري إذا قال في صحيحه: «قال فلان» فالمراد أن الحديث صحيح عنده.

٦- أن البخاري ذكر هذا الحديث محتجًا به، ومدخلاً له في صحيحه أصلاً لا استشهادًا.

فالحديث صحيح بلا ريب.

وممن رد قول ابن حزم الحافظ ابن الصلاح؛ حيث قال: ولا التفات إلى أبي محمد بن حزم الظاهري الحافظ في رده ما أخرجه البخاري من حديث أبي عامر أو أبي مالك: (فذكر الحديث). ثم قال: والحديث صحيح معروف الاتصال؛ بشرط الصحيح، والبخاري رحمه الله قد يفعل مثل ذلك؛ لكون ذلك الحديث معروفًا من جهة الثقات عن ذلك الشخص الذي علقه عنه، وقد يفعل ذلك؛ لكونه قد ذكر الحديث في موضع آخر من كتابه مسندًا متصلاً، وقد يفعل ذلك لغير ذلك من الأسباب التي لا يصحبها خلل الانقطاع. والله أعلم.

وقال الحافظ في الفتح: وقد تقرر عند الحُفَّاظ أن الذي يأتي به البخاري من التعاليق كلها بصيغة الجزم يكون صحيحًا إلى من علق عنه، ولو لم يكن من شيوخه، لكن إذا وجد الحديث المعلق من رواية بعض الحفاظ موصولاً إلى من علقه بشرط الصحة أزال الإشكال.. إلى أن قال: وقد ذكر شيخنا في شرح الترمذي وفي كلامه على علوم الحديث أن حديث هشام بن عمار جاء موصولاً عنه في «مستخرج الإسماعيلي» قال: حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا هشام بن عمار. وأخرجه الطبراني في «مسند الشاميين»، فقال: حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الصمد، حدثنا هشام بن عمار.

قال الحافظ: وقد أخرجه الطبراني أيضًا في المعجم الكبير عن موسى بن سهل الجويني، وعن جعفر بن محمد الفريابي، كلاهما عن هشام، وأيضًا فقد أخرجه أبو نعيم في مستخرجه على البخاري من رواية عبدان بن محمد المروزي، ومن رواية أبي بكر الباغندي كلاهما عن هشام، وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن الحسين بن عبد الله القطان عن هشام.

هذا عن صنيع البخاري في سياقه هذا الحديث، وأما ابن حزم فقد أعل الحديث بالانقطاع كما تقدم لينتصر لمذهبه في استحلال المعازف، وهو مخالف لما عليه جمهور أهل العلم.

قال ابن العربي المالكي - رحمه الله - قوله: «يستحلون»: يحتمل أن يكون المعنى: يعتقدون ذلك حلالاً، ويحتمل أن يكون مجازًا عن الاسترسال؛ أي يسترسلون في شربها كالاسترسال في الحلال، وقد سمعنا ورأينا من يفعل ذلك. اهـ.

فإذا كان هذا في زمان ابن العربي - سماع ورؤية من يفعل ذلك- فهو في زماننا أكثر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

من فوائد الحديث: (حديث: ليكونن من أمتي أقوام يستحلون... إلخ).

١- الوعيد الشديد لمن يتحايل في تحليل ما حرم الله تعالى بتغيير اسمه.

٢- أن الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا.

٣- أن العلة في تحريم الخمر الإسكار. فمهما وُجد الإسكار، وُجد التحريم.

٤- قال ابن العربي: الحديث أصل في أن الأحكام تتعلق بمعاني الأسماء لا بألقابها.

٥- أن انتشار شرب الخمر في الأمة واستباحتها: من أشراط الساعة.

وأخيرًا، لا يخفى علينا انتشار شرب المسكرات في أفراح هذا الزمان، ويظهر صاحب الفرح كرمه الزائد بشراء المسكرات والمخدرات وتوزيعها فيبوأ بآثام وأوزار عظيمة، ويحسب أنه بذلك يكرم ابنه أو ابنته، وهذا تبذير وإتلاف للأموال فضلاً عن ارتكاب المحرم وإنفاق المال فيه.

هذا، ونسأل الله تعالى أن يرد المسلمين إلى دينهم ردًا جميلاً، وأن يباعد بيننا وبين المحرمات وانتهاكها، وأن يبصّرنا بالحق، وأن يحيينا على طاعته ومرضاته، وأن يحسن لنا وللمسلمين الخاتمة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وآله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.



صفة التيمم

إعداد: د/ حمدي طه

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد بدأنا في الحلقة السابقة الكلام عن التيمم، فذكرنا تعريفه، ومشروعيته بالكتاب والسنة والإجماع، ومن يجوز له التيمم، وهو كل من ليس عنده قدرة على استعمال الماء حسًّا أو شرعًا، وشروط التيمم، وهي: النية، وعدم وجود الماء، وطلب الماء، والصعيد الطيب، ونبدأ اليوم في الحديث عن صفة التيمم، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إنَّما يذْكُر العلماء صفة العبادات؛ لأن العبادات لا تتمُّ إلا بالإخلاص لله تعالى، وبالمتابعة للنبيِّ ﷺ، والمتابعة لا تتحقَّق إلا إذا كانت العبادة موافقة للشَّرع في ستَّة أمور: ١- السَّبب. ٢- الجنْس. ٣- القدْر. ٤- الكيفيَّة. ٥- الزَّمان. ٦- المكان.

فلا تُقْبَل العبادة إلا إذا كانت صفتُها موافقة لما جاء عن النبيِّ ﷺ، ولهذا احتاج العلماء إلى ذكْر صفة العبادات كالوُضُوء، والصَّلاة، والصِّيام وغيرها. [الشرح الممتع ابن عثيمين ١ / ٢٢٧].

أولا: صفة التيمُّم الصحيحة

صفَةُ التَّيَمُّمِ لِلْجَنَابَةِ وَلِلْحَيْضِ وَلِكُلِّ غُسْلٍ وَاجِبٍ وَلِلْوُضُوءِ: صفَةُ عَمَلٍ وَاحِدٍ، إنَّمَا يَجِبُ فِي كُلِّ ذَلِكَ أَنْ يَنْوِيَ بِهِ الْوَجْهَ الَّذِي تَيَمَّمَ لَهُ، ثم يضرب بيديه على الأرض ضربة واحدة فقط، ثم يمسح بهما وجهه، ثم يمسح بباطن اليمنى على ظاهر الكف اليسرى، وبباطن اليد اليسرى على ظاهر الكف اليمنى ابتداءً من أطراف الأصابع إلى مفصل الكف في كل منهما، وإن شاء نفخ في يديه قبل أن يمسح بهما وجهه. [المحلى بالآثار، ابن حزم الأندلسي ١ / ٧١٤- المختصر الوافي في أحكام الطهارة، عبد الله بن محمد العسكر ص٤٩].

والدليل على ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَاءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣]، وحديث عمار بن ياسر- رضي الله عنه- في صفة التيمُّم التي علَّمه إياها الرسول ﷺ قال: «أجنبتُ فلم أُصب الماء؛ فَتَمَعَّكْتُ في الصعيد وصليت، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنما كان يكفيك هكذا وضرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكفيه الأرض، ونفخ فيهما، ثم مسح بهما وجهه وكفيه» [متفق عليه].

وإن ضرب ضربة لوجهه، وضربة ليديه؛ فقد جاءت السنة بذلك، فعن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنهم حين تيمموا مع رسول الله ﷺ، فأمر المسلمين فضربوا بأكُفِّهم التراب، ولم يقبضوا من التراب شيئًا، فمسحوا بوجوههم مسحة واحدة، ثم عادوا فضربوا بأكفهم الصعيد مرة أخرى، فمسحوا بأيديهم». [ابن ماجه ٥٧١ وصححه الألباني].

ولا يُشرع فيه التثليث كالوضوء. ولا يجب فيه الترتيب بين الوجه واليدين، فإن بدأ بمسح يديه؛ أجزأه، وإن بدأ بمسح وجهه؛ أجزأه. جاء في رواية للبخاري(٣٣٢): «وضرب شعبة بيديه الأرض، ثم أدناهما من فيه، ثم مسح وجهه وكفيه». [إتحاف الكرام بشرح

عمدة الأحكام].

وقال بعض العلماء: إن التَّرتيب فَرْضٌ فيهما جميعًا - أي الوضوء والتيمم-.

واستدلُّوا بقوله ﷺ في حديث عَمَّار وهو جُنُب: «إنما يكفيك أن تقول بيديك هكذا»، ففعل التَّيمُّم مرتَّبًا، متوالياً. قالوا: وقياس التَّيمُّم على طهارة الحَدَث الأكبر في عَدَم وُجوب التَّرتيب: قياس مع الفارق؛ لأن البَدَنَ كلَّه عُضْوٌ واحد في طهارة الحدث الأكبر بالماء، وفي التَّيمُّم عُضْوان. والأرجح ما ذكرناه آنفًا من أن الترتيب ليس واجبًا في التيمم.

وَلَيْسَ عَلَيْه اسْتيعَابُ الْوَجْه وَلا الْكَفَّيْن، وَلا يَمْسَحُ في شَيْءٍ منْ التَّيَمُّم ذرَاعَيْه، وَلا رَأْسَهُ وَلا رجْلَيْه، وَلا شَيْئًا منْ جسْمه. [المحلى بالآثار ابن حزم الأندلسي ١ / ٧١٤].

هذه صفة التيمم شاملة الواجبات والسنن. والكلام عن التَّسمية هنا كالتَّسْمية في الوُضُوء خلافاً ومذهباً؛ لأنَّ التَّيمُّم بَدَلٌ، والبَدَلُ له حُكْم المُبدَل منه.

وبالنِّسبة للموالاة: الأَوْلَى أن يُقال: إنها واجبة في الطَّهارتين جميعًا؛ إذ يبعد أن نقول لمن مَسَح وَجْهَه أوَّل الصُّبْح، ويدَيْه عند الظُّهر: إن هذه صورة التَّيمُّم المشروعة؛ [الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين ١/ ٢٢٧].

وأمَّا ما ذكر في صفة التيمم من وضع بطون أصابع يده اليسرى على ظهور اليمنى، ثم إمرارها إلى المرفق، ثم إدارة بطن كفه على بطن الذراع، وإقامة إبهامه اليسرى كالمؤذن، إلى أن يصل إلى إبهامه اليمنى، فَيُطبِقها عليها، فهذا مما يُعلم قطعاً أن النبي ﷺ لم يفعله، ولا علَّمه أحداً من أصحابه، ولا أمر به، ولا استحسنه، وهذا هديُه، إليه التحاكُم، وكذلك لم يَصِحَّ عنه التيمُّمُ لكل صلاة، ولا أمر به، بل أطلق التيمم، وجعله قائماً مقام الوضوء، وهذا يقتضي أن يكون حكمُه حكمَه، إلا فيما اقتضى الدليل خلافه. [زاد المعاد ابن قيم الجوزية ١ / ٢٠١].

ويرى الحنفية والشافعية أن التيمم ضربتان: ضربة للوجه، وضربة لليدين إلى المرفقين، والدليل ما روى أبو أمامة وابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: التيمم ضربتان: ضربة للوجه، وضربة لليدين إلى المرفقين»؛ ولأن اليد عضو في التيمم، فوجب استيعابه كالوجه. وأما حديث عمار رضي الله عنه الدال على الاكتفاء بالكفين، فيُتأول على أنه مسح كفيه إلى المرفقين، بدليل حديث أبي أمامة وابن عمر. [الفقه الإسلامي وأدلته: أ.د. وَهْبَة الزُّحَيْلِي ١ / ٥٣٣].

قال ابن حزم الأندلسي في الرد على هذا الدليل: أَمَّا الْأَخْبَارُ فَكُلُّهَا سَاقِطَةٌ، لا يَجُوزُ الاحْتِجَاجُ بِشَيْءٍ مِنْهَا. [المحلى بالآثار ١ / ٧١٤].

وقال ابن حجر انتصاراً لمذهب البخاري: باب التيمم للوجه والكفين، أي هو الواجب المجزئ، وأتى بذلك بصيغة الجزم مع شهرة الخلاف فيه؛ لقوة دليله، فإن الأحاديث الواردة في صفة التيمم لم يصح منها سوى حديث أبي جهيم وعمار، وما عداهما فضعيف أو مختلف في رفعه ووقفه، والراجح عدم رفعه، فأما حديث أبي جهيم فورد بذكر اليدين مجملاً، وأما حديث عمار فورد بذكر الكفين في الصحيحين، وبذكر المرفقين في السنن، وفي رواية إلى نصف الذراع، وفي رواية إلى الآباط؛ فأما رواية المرفقين وكذا نصف الذراع ففيهما مقال، وأما رواية الآباط؛ فقال الشافعي وغيره: إن كان ذلك وقع بأمر النبي ﷺ، فكل تيمم صح للنبي ﷺ بعده فهو ناسخ له، وإن كان وقع بغير أمره؛ فالحجة فيما أمر به.

ومما يقوي رواية الصحيحين في الاقتصار على الوجه والكفين: كون عمار كان يفتي بعد النبي ﷺ بذلك، وراوي الحديث أعرف بالمراد به من غيره، ولاسيما الصحابي المجتهد، وهذا مذهب أحمد وإسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن خزيمة، ونقله ابن الجهم وغيره عن مالك، ونقله الخطابي عن أصحاب الحديث، وقال النووي: رواه أبو ثور وغيره عن الشافعي في القديم، وأنكر ذلك الماوردي وغيره، قال: وهو إنكار مردود؛ لأن أبا ثور إمام ثقة. قال: وهذا القول وإن كان مرجوحًا؛ فهو القوي في الدليل. انتهى كلامه في شرح المهذب. [فتح الباري ابن حجر العسقلاني ٤ / ٢٤٣].

واحتجوا كذلك بالقياس فقالوا: يمسح الوجه واليدين إلى المرفقين قياسًا على الوضوء؛ لأن التيمم بدل عن الوضوء، فيكون محله أعضاء الوضوء المنصوص على وجوب التيمم فيها.

[الفقه الإسلامي وأدلته: أ.د. وَهْبَة الزُّحَيْلي ١/ ٥٣٣].

ورُدَّ هذا القياس بأمرين:

الأول: أنه مقابل للنَّصِّ، والقياس المقابل للنصِّ يُسمَّى عند الأصوليين فاسد الاعتبار.

الثاني: أنه قياس مع الفارق، والفرق من وجوه:

الوجه الأول: أن طهارة التَّيمُّم مختصَّة بعضوين، وطهارة الماء مختصَّة بأربعة في الوُضُوء، وبالبَدَنِ كُلِّه في الغُسْل.

الوجه الثَّاني: أنَّ طهارة الماء تختلف فيها الطَّهارتان، وطهارة التَّيمُّم لا تختلف.

الوجه الثَّالث: أنَّ طهارة الماء تنظيف حسيٌّ، كما أن فيها تطهيراً معنوياً، وطهارة التَّيمُّم لا تنظيف فيها. [الشرح الممتع على زاد المستقنع محمد بن صالح العثيمين ١ / ٢٢٧].

نواقض التيمم أو مبطلاته

١- كل ما ينقض الوضوء والغسل: ينقض التيمم؛ لأنه بدل عنهما، وناقض الأصل ناقض لبدله. [الفِقْهُ الإسلامي وأدلته: أ.د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ ١ / ٥٣٣].

ولأن التيمم بالصعيد الطيب قام مقام الماء، فينقض الطهارة بالتيمم ما ينقض الطهارة بالماء، فإذا تيمم عن الحدث الأصغر، ثم بال أو حصل له ناقض من نواقض الوضوء؛ بطل تيممه؛ وكذا التيمم عن الحدث الأكبر يبطل بموجبات الغسل. [طهور المسلم في ضوء الكتاب والسنة: سعيد بن علي القحطاني ١ / ٧٧].

قال ابن حزم في المحلى: وَكُلُّ حَدَثٍ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ؛ فَإِنَّهُ يَنْقُضُ التَّيَمُّمَ، هَذَا مَا لا خِلافَ فيه مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الإِسْلام. [المحلى ١ / ٩٨].

٢- زوال العذر المبيح له كذهاب العدو، والمرض والبرد، ووجود آلة نزح الماء، وإطلاق سراحه من السجن الذي لا ماء فيه؛ لأن ما جاز بعذر؛ بطل بزواله.. [موسوعة فقه العبادات علي بن نايف الشحود ٧ / ١٩٧، والفِقْهُ الإسلامي وأدلته: أ.د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ ١ / ٥٣٣]. وهذا الناقض أيضاً محل اتفاق بين أهل العلم.

٣- رؤية الماء أو القدرة على استعمال الماء الكافي، ولو مرة عند الحنفية والمالكية، ولو لم يكف عند الشافعية والحنابلة؛ وذلك قبل الصلاة باتفاق الفقهاء، لا فيها عند جماعة، وذلك بشرط أن يكون الماء فاضلاً عن حاجته الأصلية، كعطش وعجن وغسل نجاسة؛ لأنه مشغول بالحاجة؛ لأن الماء المشغول بالحاجة كالمعدوم. [موسوعة فقه العبادات علي بن نايف الشحود ٧ / ١٩٧، والفقه الإسلامي وأدلته: أ.د. وَهْبَة الزُّحَيْلِي ١ / ٥٣٣].

فإذا تيمَّم لعَدَم الماء؛ بَطَلَ بوجوده، وإذا تيمَّم لمرَض لم يَبْطُلْ بوجود الماء؛ لأنه يجوز أن يتيمم مع وجود الماء، ولكن يَبْطُل بالبَرْء؛ لزوال المبيح، وهو المرَض. [الشرح الممتع على زاد المستقنع للعثيمين ١ / ٤٠٣].

أما رؤية الماء في الصلاة؛ فإنها تبطل التيمم عند الحنفية والحنابلة، واحتجوا بما يلي:

١- عموم قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [المائدة: ٦]، وهذا وَجَدَ ماءً فَبَطَل حُكْم التَّيمُّم، وإذا بطل حُكْم التَّيمُّم؛ بطلتْ الصَّلاة؛ لأنه يعود إليه حَدَثُه.

٢- قوله ﷺ: «فإذا وجَد الماء، فليتَّقِ الله، وليُمسَّه بَشَرَتَه» [أخرجه البزار ١ / ١٥٧ / ٣١٠ وصححه الألباني]. وهذا وجد الماء، فعليه أن يُمسَّه بشرته، وهذا يقتضي بُطْلان التَّيمُّم.

٣- أن التيمُّم بَدَلٌ عن طهارة الماء عند فَقْده، فإذا وُجِدَ الماء، زالت البدليَّة، فيزول حُكْمُها، فحينئذ يَجب عليه الخروج من الصَّلاة، ويتوضَّأ، ويستأنف الصلاة. [الشرح الممتع على زاد المستقنع للعثيمين ١ / ٤٠٣]

ولا تبطله عند المالكية، ولا عند الشافعية بالنسبة للمسافر في محل لا يغلب فيه وجود الماء؛ لوجود الإذن بالدخول في الصلاة بالتيمم، والأصل بقاؤه، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣] وقد كان عمله سليماً قبل رؤية الماء، والأصل بقاؤه، وقياساً على رؤية الماء بعد الفراغ من الصلاة. أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِصَلَاةِ الْمُقِيمِ بِالتَّيَمُّمِ فَإِنَّهَا تَبْطُل. [الموسوعة الفقهية الكويتية١٤ / ٣٦٥] وما ذهب إليه الحنفية والحنابلة أرجح. قال الإمام أحمد: كنت أقول: إنه لا يَبْطُل، فإذا الأحاديث تدلُّ على أنه يَبطُل.

٤- خروج الوقت: يبطل التيمم عند الحنابلة بخروج وقت الصلاة، أي: وقت الصَّلاة التي تيمَّم لها، فإذا تيمَّم لصلاة الظُّهر؛ بَطَلَ بخروج الوقت، فلا يصلِّي به العصر. وأضاف الحنابلة: إن خرج وقت الصلاة وهو فيها، بطل تيممه، وبطلت صلاته؛ لأن هذه استباحة ضرورة؛ فَتُقَدَّر بِقَدر الضرورة، فإذا تيمَّم للصَّلاة؛ فإن تيمُّمه يتقدَّر بقدر وقت الصَّلاة. كما لو انقضت مدة

المسح وهو في الصلاة [الفقهُ الإسلامي وأدلته: أ.د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ ١ / ٥٣٣، والموسوعة الفقهية الكويتية ١٤ / ٣٦٥].

واحتج من قال ببطلان التيمم بخروج الوقت بحديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، وقوله ﷺ له: «أصليت بأصحابك وأنت جنب؟» [أبو داود ٣٣٤ وصححه الألباني]، وقول الصحابة له ﷺ: «إن عَمْرًا صلى بهم وهو جنب»، فاقرهم على تسميته جنبًا. وبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (من السُّنة) أي: سنة النبي ﷺ، والمراد: طريقته وشرعه (أن لا يُصلِّي الرَّجُلُ والمرأة أيضًا (بالتيمم إلا صَلاةً واحدةً، ثمَّ يتيمم للصَّلاة الأخرى. [رواه الدارقطني بإسناد ضعيف؛ لأنه من رواية الحسن بن عمارة وهو ضعيف جدًا] وفي الباب عن عليّ رضي الله عنه، وابن عمر حديثان ضعيفان. [سبل السلام محمد بن إسماعيل الصنعاني ١ / ١٠٠].

قال العثيمين: والصَّحيح: أنَّه لا يَبطل بخروج الوقت، وأنَّك لو تيمَّمت لصلاة الفَجر، وبقيتَ على طهارتكَ إلى صلاة العشاء؛ فتيمُّمك صحيح، وما علَّلوا به؛ فهوَ تعليل عَليل لا يصحُّ، والدَّليل على ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى بعد أن ذَكر الطَّهارة بالماء والتُّراب: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، إذاً فطهارة التَّيمُّم طهارة تامَّة.

٢- قوله ﷺ: «وجُعِلَت ليَ الأرضُ مسجداً وطَهوراً» [البخاري ٣٣٥]. والطَّهور -بالفتح- ما يُتَطَهَّر به، وهذا يدلُّ على أن التيمُّم مطهِّرٌ؛ ليس مبيحاً.

٣- قوله ﷺ: «الصَّعيدُ الطَّيِّبُ طَهورُ المسلم، وإن لم يجد الماء عَشْر سنين» [الترمذي ١٢٤ وصححه الألباني] انتهى من [الشرح الممتع ١/ ٢٣٧].

والأصل: أن الله تعالى جعل التراب قائمًا مقام الماء. وقد عُلم أنه لا يجب الوضوء بالماء إلا من الحدث، فالتيمم مثله، وإلى هذا ذهب جماعة من أئمة الحديث، وغيرهم، وهو الأقوم دليلاً. [سبل السلام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ١ / ١٠٠].

٥- الردة: تُبطل التيمم عند الشافعية، بخلاف الوضوء؛ لقوته، وضعف بدله، لكن تبطل نية الوضوء فيجب تجديدها؛ ولأن التيمم لاستباحة الصلاة، وهي منتفية مع الردة، هذا والردة تبطل التيمم، ولو صورة، كالواقعة من الصبي.

ولا يبطل التيمم بالردة عند الحنفية وغيرهم، فيصلي به إذا أسلم؛ لأن الحاصل بالتيمم صفة الطهارة، والكفر لا ينافيها كالوضوء، ولأن الردة تبطل ثواب العمل، لا زوال الحدث. [الفقْه الإسلامي وأدلته: أ.د. وَهْبَة الزُّحَيْلِي ١ / ٥٣٣].

قلت: وما ذهب إليه الحنفية وغيرهم أقوى دليلاً وهو الصحيح.

٦- الفصل الطويل بين التيمم والصلاة: يُبطل التيمم عند المالكية دون غيرهم لاشتراطهم الموالاة بينه وبين الصلاة. [الموسوعة الفقهية الكويتية ١٤ / ٣٦٥].

وما ذهب إليه جمهور الفقهاء هو الصحيح، وبذلك نكون قد انتهينا من الحديث عن أهم ما يتعلق بالتيمم من أحكام، ونبدأ في الحلقة القادمة - بمشيئة الله - عن أحكام الحيض، نسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، فهو نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين.

إنا لله وإنا إليه راجعون

ودعت الأمة الإسلامية هذا الشهر فضيلة الشيخ مقدام الحضري، رحمه الله، فقد كان عالمًا جليلاً، وشيخًا كريمًا، علَّم السنة ونشرها، ورد الكثير من البدع والضلالات، ودعا الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان طيب النفس، جم التواضع، محبًا لإخوانه، ساعيًا في نصرة دين الله وتبليغه، رحمه الله رحمة واسعة وأعلى درجته في المهديين وخلفه في أهله وأولاده بخير.

مشروع تيسير حفظ السنة

من صحيح الأحاديث القصار

درر البحار (٨٢)

إعداد/ علي حشيش

٢٤٦٢) عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا فِي غَيْرِ كُنْهِهِ؛ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». (د ٢٧٦٠)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٦٣) عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ فَارِسَ أَتَى النَّبِيَّ -ﷺ- فَقَالَ له النبي : «إِنَّ رَبِّي قَتَلَ رَبَّكَ» يَعْنِي كِسْرَى. (مسند البزار ٣٠٨١)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٦٤) عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- ﷺ- يَقُولُ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلاَّ وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ»، وَكَانَ يَقُولُ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ، وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ عزَّ وجلَّ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ». (حم ١٧١٧٨)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٦٥) عَنْ هُبَيْبِ بْنِ مُغْفِلٍ الْغِفَارِيِّ أَنَّهُ رَأَى مُحَمَّدًا الْقُرَشِيَّ قَامَ يَجُرُّ إِزَارَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ هُبَيْبٌ رضي الله عنه فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ وَطِئَهُ خُيَلَاءَ وَطِئَهُ فِي النَّارِ» (حم ١٥١٧٩)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٦٦) عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- ﷺ- يَقُولُ: «لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ؛ فَإِنْ كَانَ تَصَارَمَا فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَإِنَّهُمَا نَاكِبَانِ عَنِ الْحَقِّ مَا دَامَا عَلَى صُرَامِهِمَا، وَأَوَّلُهُمَا فَيْئًا، فَسَبْقُهُ بِالْفَيْءِ كَفَّارَتُهُ، فَإِنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ سَلَامَهُ؛ رَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، وَرَدَّ عَلَى الآخَرِ الشَّيْطَانُ، فَإِنْ مَاتَا عَلَى صُرَامِهِمَا لَمْ يَجْتَمِعَا فِي الْجَنَّةِ أَبَدًا». (حم ١٥٨٢٤)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٦٧) عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ- إِذَا قَرَأَ وَلاَ الضَّالِّينَ قَالَ: «آمِينَ» وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ. (د ٩٣٢)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٦٨) عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ- فَقَالَ: «أَتَزْعُمُونَ أَنِّي آخِرُكُمْ وَفَاةً، أَلاَ إِنِّي مِنْ أَوَّلِكُمْ وَفَاةً، وَتَتْبَعُونِي أَفْنَادًا يُهْلِكُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا». (حم ١٦٥٣٠)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٦٩) عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-: «لا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَآنِي وَصَاحَبَنِي، وَاللَّهِ لا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي وَصَاحَبَ مَنْ صَاحَبَنِي، وَاللَّهِ لا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي وَصَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَنِي» (السنة لابن أبي عاصم ١٤٨٤)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٧٠) عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الأَسْوَدِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ- ﷺ- وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ، فَلَمَّا صَلَّى إِذَا رَجُلَانِ لَمْ يُصَلِّيَا فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَدَعَا بِهِمَا فَجِيءَ بِهِمَا تُرْعَدُ فَرَائِصُهُمَا، فَقَالَ: «مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تُصَلِّيَا مَعَنَا؟» قَالاَ: قَدْ صَلَّيْنَا فِي رِحَالِنَا، فَقَالَ: «لاَ تَفْعَلُوا، إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ أَدْرَكَ الإِمَامَ وَلَمْ يُصَلِّ؛ فَلْيُصَلِّ مَعَهُ، فَإِنَّهَا لَهُ نَافِلَةٌ». (د ٥٧٥)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٧١) عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ- ﷺ- فَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ انْحَرَفَ. (د ٦١٤)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٧٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ- ﷺ- يَقُولُ: «لاَ يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لَاعِبًا وَلاَ جَادًّا». (د ٥٠٠٣)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٧٣) عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلاً -وقَالَ: عَمْرٌو كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْزِلاً- تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-: «إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ» فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلاً إِلاَّ انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى يُقَالَ: لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ. (د ٢٦٢٨)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٧٤) عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِمَا يَحِلُّ لِي وَيُحَرَّمُ عَلَيَّ. قَالَ:

فَصَعَّدَ النَّبِيُّ- ﷺ- وَصَوَّبَ فِيَّ النَّظَرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ- ﷺ-: «الْبِرُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالإِثْمُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ» وَقَالَ: «لاَ تَقْرَبْ لَحْمَ الْحِمَارِ الأَهْلِيِّ، وَلاَ ذَا نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ». (حم ١٧٧٢٨٨)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٧٥) عَنْ أَبِي مُحَيْرِزٍ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي جُمُعَةَ رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ- ﷺ- قَالَ: نَعَمْ، أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا جَيِّدًا، تَغَدَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ- ﷺ- وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا أَسْلَمْنَا مَعَكَ وَجَاهَدْنَا مَعَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي». (حم ١٦٥٢٨)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٧٦) عَنْ أَبِي جُهَيْمٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: هَذَا تَلَقَّيْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ- ﷺ- وَقَالَ: الآخَرُ تَلَقَّيْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ- ﷺ- فَسَأَلاَ النَّبِيَّ- ﷺ- فَقَالَ: «الْقُرْآنُ يُقْرَأُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَلاَ تُمَارُوا فِي الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ مِرَاءً فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ». (حم ١٧٠٩١)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٧٧) عَنْ أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ- ﷺ- يَقُولُ: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً؛ فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ». (د ٤٩١٥)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٧٨) عَنْ يُونُسَ بْنِ مَيْسَرَةَ بْنِ حَلْبَسٍ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي سَعِيدٍ الزُّرَقِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ- ﷺ- إِلَى شِرَاءِ الضَّحَايَا، قَالَ: يُونُسُ فَأَشَارَ أَبُو سَعِيدٍ إِلَى كَبْشٍ أَدْغَمَ لَيْسَ بِالْمُرْتَفِعِ وَلاَ الْمُتَّضِعِ فِي جِسْمِهِ، فَقَالَ لِي: اشْتَرِ لِي هَذَا، كَأَنَّهُ شَبَّهَهُ بِكَبْشِ رَسُولِ اللَّهِ- ﷺ-. (جه ٣١٢٩)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٧٩) عَنْ أَبِي سَلْمَى رضي الله عنه رَاعِي رَسُولِ اللَّهِ- ﷺ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «بَخٍ بَخٍ، بِخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ فَيَحْتَسِبُهُ». (السنة لابن أبي عاصم ٧٨١)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٨٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-: «إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ لِبَشَرٍ إِلاَّ لِيُوشَعَ لَيَالِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ». (حم ٨٢٩٨)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٨١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-: «أَسْرَعُ قَبَائِلِ الْعَرَبِ فَنَاءً قُرَيْشٌ، وَيُوشِكُ أَنْ تَمُرَّ الْمَرْأَةُ بِالنَّعْلِ فَتَقُولَ: إِنَّ هَذَا نَعْلُ قُرَشِيٍّ». (حم ٨٤١٨)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ- «لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا، أَوْ عَبْدًا عَلَى سَيِّدِهِ» (د ٢١٧٥)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٨٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلَيْنِ ادَّعَيَا دَابَّةً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا بَيِّنَةٌ؛ فَأَمَرَهُمَا النَّبِيُّ- ﷺ- أَنْ يَسْتَهِمَا عَلَى الْيَمِينِ. (حم ١٠٧٩٧)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٨٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-: «مَا مِنْ نَبِيٍّ وَلاَ وَالٍ إِلاَّ وَلَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَبِطَانَةٌ لاَ تَأْلُوهُ خَبَالاً، وَمَنْ وُقِيَ شَرَّهُمَا فَقَدْ وُقِيَ، وَهُوَ مَعَ الَّتِي تَغْلِبُ عَلَيْهِ مِنْهُمَا». (حم ٧٢٣٨)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٨٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-: «سَيَكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، وَسَيَكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ يَعْمَلُونَ بِمَا لاَ يَعْلَمُونَ، وَيَفْعَلُونَ بِمَا لاَ يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ بَرِئَ، وَمَنْ أَمْسَكَ يَدَهُ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ!» (مسند أبي يعلى ٥٩٠٢)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٨٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- ﷺ- قَالَ: «ثَلاَثٌ لاَ يُمْنَعْنَ: الْمَاءُ، وَالْكَلأُ، وَالنَّارُ» (جه ٢٤٧٣)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٨٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-: «خَيْرُ الْكَلاَمِ أَرْبَعٌ، لا تُبَالِي بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» (النسائي في عمل اليوم والليلة ٨٤١)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٤٨٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ- ﷺ- قَالَ: «جِهَادُ الْكَبِيرِ، وَالصَّغِيرِ، وَالضَّعِيفِ، وَالْمَرْأَةِ: الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ» (ن ٢٦٢٦)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

حديث الشهر

الاستقامة طريقك إلى الجنة

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة
www.almarakby.com

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

الطريق إلى الجنة صراط مستقيم، وهو الطريق الذي يسير عليه أنبياء الله ورسله، والصالحون من عباده الذين هداهم الله تعالى صراطًا مستقيمًا، وآتاهم من لدنه أجرًا عظيمًا، وهو الطريق الذي يطلب العابدون من ربهم الهداية إليه في صلواتهم.

قال الله جل ثناؤه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٥-٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٦٨) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٦-٧٠].

والسائرون على هذا الطريق المستقيم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، يسيرون خلف الدليل الهادي إلى باب الجنة؛ ليستفتح لهم، فيدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

قال رسول الله ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة» [مسلم ١٦٩].

وقال ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَأَسْتَفْتِحُ. فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ». [مسلم ١٩٧].

وقال الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت ٣٠-٣٣].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف ١٣-١٤].

وقال رب العزة والجلال: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه

قال: «قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك. قال: قل: «آمنت بالله، ثم استقم» [مسلم ٣٨].

قال ابن القيم: سئل صديق الأمة، وأعظمها استقامةً أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة؟ فقال: أن لا تشرك بالله شيئًا. يريد الاستقامة على محض التوحيد.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب.

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: استقاموا: أخلصوا العمل لله.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما: استقاموا: أدوا الفرائض.

وقال الحسن: استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته.

وقال مجاهد: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: استقاموا على محبته وعبوديته؛ فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة.

والمطلوب من العبد الاستقامة، وهي السداد؛ فإن لم يقدر عليها، فالمقاربة، فإن نزل عنها: فالتفريط والإضاعة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سددوا، وقاربوا، واعلموا أنه لن ينجو أحدٌ منكم بعمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل». [متفق عليه].

فجمَع في هذا الحديث مقامات الدين كلها، فأمر بالاستقامة، وهي السداد والإصابة في النيات والأقوال والأعمال، وأخبر أنهم لا يطيقونها، فنقلهم إلى المقاربة، وهي أن يقربوا من الاستقامة بحسب طاقتهم كالذي يرمي إلى الغرَض؛ فإن لم يُصبْه؛ يُقاربه، ومع هذا فأخبرهم أن الاستقامة والمقاربة لا تنجّي يوم القيامة؛ إلا إذا صاحبها فضل الله وعفوه ورحمته، فلا يركن أحد إلى عمله، ولا يُعجب به، ولا يرى أن نجاته به وحده، بل إنما نجاته برحمة الله وعفوه وفضله، كما قال رسول الله ﷺ: «استقيموا، ولن تُحْصُوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن». [ابن ماجه ٢٧٧ وصححه الألباني].

فالاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد، والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال، والأحوال والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله.

وقال بعضهم: كن صاحبَ الاستقامة، لا طالب الكرامة؛ فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة. اهـ (مدارج السالكين- منزلة الاستقامة ٢ / ١٠٥).

فالاستقامة إذن كلمة جامعة للخير، ولجميع السجايا الحميدة، والخلال الكريمة، وأسمى ما يطلبه الإنسان في هذه الحياة أن يُوصف بأنه مستقيم.

وكلمة " الاستقامة " تفيد معنى الاعتدال والاستواء، يقال: استقام له الأمر، أي اعتدل، كما في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سووا صفوفكم؛ فإن تسوية الصف من تمام الصلاة» [متفق عليه].

وفي رواية للبخاري: «فإن تسوية الصفوف من إقام الصلاة». أي جعلها سليمة معتدلة.

وكلمة " الاستقامة " مشتقة من مادة " القيام"، وفي هذه المادة معنى الملازمة والمحافظة والثبات، وعلى هذا جاء قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥] أي ملازمًا محافظًا.

وقد تأتي المادة بمعنى الإصلاح والنهوض بالتبعات، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤].

ومن هذا نفهم أن الاستقامة في الإسلام هي الإقامة على دين الله، والدوام على هدى الله عز

وجل، والاستمرار في التقيد بقيوده، والوقوف عند حدوده، والاستجابة لأوامره، والانتهاء عن محارمه.

إن جميع الأنبياء- صلوات الله عليهم- كانت رسالاتهم والهدف منها أن يستقيم الناس، وتستقيم بهم أحوالهم، وتستقيم بهم دنياهم، وتستقيم بهم أمور آخرتهم.

قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

فأمر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ أن يستقيم، ومن تاب معه على جادة الحق، وألا يجاوزوا ما أمروا به، فذلك هو الطغيان.

والمسلم يجب أن يكون ملتزماً بمنهاج الاستقامة، وما يتطلبه هذا المنهاج من آداب وأخلاق حسنة.

الابتعاد عن الطرق الشيطانية المنحرفة

قال الله جل جلاله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

أي أن صراط الله تعالى وطريقه الذي جعله منهجاً للسلوك: مستقيماً لا عوج فيه، وأن على الناس أن يتبعوا الطريق السوي، وأنهم إذا اتبعوه، وساروا عليه؛ أمنوا من الزيغ والضلال في الدنيا، وسعدوا برضوان الله تعالى ونعيمه في الآخرة.

وإذا انحرفوا عن صراط الله، واتخذوا طرقاً أخرى ابتدعوها من تلقاء أنفسهم؛ تفرقوا عن سبيل الله، وحادوا عنه، واستحقوا الضلال، وتعرضوا للنكال بإعراضهم عن هداية الله تعالى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٧ - ١٦٩].

إن هذه وصايا الله العلي القدير لعباده؛ لتحصل لهم الاستقامة كما في الحديث: «خط النبي ﷺ خطاً مستقيماً، وخط عن يمينه خطوطاً، وعن شماله خطوطاً، ثم قال مشيراً إلى الخط المستقيم: هذه سبيل الله، وقال مشيراً إلى الخطوط التي عن يمينه وعن شماله: هذه سُبُل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ الرسول الكريم ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. [رواه أحمد والحاكم ٢٩٣٨ وصححه ووافقه الذهبي].

لقد جعل الله تعالى «الصراط المستقيم» مطلباً للمؤمنين، يرجون ربهم لتحقيقه لهم، فيدعون بذلك في كل ركعة من صلواتهم حينما يقولون: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وإذا كان الإنسان محتاجاً- دون شك- إلى دليل يدله على طريق الاستقامة، وإلى رائد يقوده على ذلك الطريق؛ فإن خير دليل وأصدق رائد في هذا المجال هو كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ.

قال جل جلاله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

فالآية تخبرنا أن كتاب الله تعالى يهدي إلى الحالة التي هي أقوم الحالات، وإلى الطريقة التي هي أعدل الطرق، وهي طريقة الإيمان بالله تعالى، وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والإيمان برسل الله، والإيمان بكتبه، والإيمان بالملائكة، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر، والعمل بطاعة الله، وقد أكد الله تبارك وتعالى لعباده هذا المعنى حين قال عن كتابه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٧-٢٨].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤- ١٧٥]

وعن عثمان بن حاضر الأزدي قال: دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما فقلت أوصني، فقال: نعم.. عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع.

إن الإيمان والاستقامة هما دعامتا الإسلام، وهما

مصدر كل خير، فالإيمان بالمولى تبارك وتعالى نورٌ في القلب، وحكمةٌ في النفس، وعفةٌ للجوارح، والاستقامة هي مظهر الإيمان وميزانه ونتيجته، فلا إيمان لمن لا يستقيم في حياته وسلوكه، ولا استقامة لمن لا إيمان في قلبه.

الاجتراء على الحرمات

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ضَرَبَ مَثَلاً صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، عَلَى كَنَفَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ، وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، فَالأَبْوَابُ الَّتِي عَلَى كَنَفَيِ الصِّرَاطِ: حُدُودُ اللَّهِ، لا يَقَعُ أَحَدٌ فِي حُدُودِ اللَّهِ حَتَّى يُكْشَفَ» [الحاكم ٢٤٥ وصححه، وقال الذهبي: على شرط مسلم ولا علة له].

قال ابن رجب: ففي هذا المَثَل الذي ضربه النبي ﷺ أن الإسلام هو الصراط المستقيم الذي أمر الله بالاستقامة عليه، ونهى عن مجاوزة حدوده، وإن من ارتكب شيئًا من المحرمات؛ فقد تعدى حدوده.

فضرب النبي ﷺ مثل الإسلام في هذا الحديث بصراط مستقيم، وهو الطريق السهل الواسع الموصل سالكه إلى مطلوبه، وهو مع هذا مستقيم لا عوج فيه؛ فيقتضي ذلك قربه وسهولته، وعلى جنبتي الصراط يمنة ويسرة سوران، وهما حدود الله، وكما أن السور يمنع من كان داخله من تعديه ومجاوزته؛ فكذلك الإسلام يمنع من دخل فيه من الخروج عن حدوده ومجاوزتها، وليس وراء ما حد الله من المأذون فيه إلا ما نهى عنه، ولهذا مدح سبحانه الحافظين لحدوده، وذم من لا يعرف حد الحلال من الحرام، كما قال تعالى: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٧].

والمراد أن من لم يجاوز ما أُذِنَ له فيه إلى ما نُهِيَ عنه؛ فقد حفظ حدود الله، ومن تعدى ذلك؛ فقد تعدى حدود الله، وقد تُطلق الحدود ويُراد بها نفس المحارم، وحينئذ يقال: لا تقربوا حدود الله كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٨].

والمراد: النهي عن ارتكاب ما نهى عنه في الآية من محظورات الصيام، والاعتكاف في المساجد.

ومن هذا المعنى- وهو تسمية المحارم حدودًا- قول النبي ﷺ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا؛ كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا...» الحديث [البخاري ٢٤٩٣].

وأراد بالقائم على حدود الله: المنكر للمحرمات، والناهي عنها، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " إني آخذ بحُجَزكم، اتقوا النار، اتقوا الحدود " - قالها ثلاثًا - [أخرجه الطبراني ١٠٩٥٣].

وأراد بالحدود محارم الله ومعاصيه، ومنه قول الرجل الذي قال للنبي ﷺ: فإني أصبت حدًا فأقمه عليّ، وقد تسمى العقوبات المقدرة الرادعة عن المحارم المغلظة: حدودًا، كما يقال: حد الزنا، وحد السرقة، وحد شرب الخمر، ومنه قول النبي ﷺ لأسامة: «أتشفع في حد من حدود الله...» [متفق عليه]، يعني في القطع في السرقة، وهذا هو المعروف من أسماء الحدود في اصطلاح الفقهاء. اهـ

والسبيل إلى الاستقامة والثبات على الدين: هو الاستعانة بالله تعالى، والالتجاء إليه سبحانه بطلب الهداية إلى صراطه المستقيم، والعمل بمقتضى كتابه، واتباع هدي رسوله ﷺ، ومصاحبة أهل الخير الذين يدلون على طاعة الله تعالى ويرغبون فيها، ويحذرون من طاعة الهوى، وإغواء الشيطان، مع البعد عن قرناء السوء المنحرفين عن سبيل الهدى، الداعين إلى طريق الردى.

فنسأل الله لنا ولجميع المسلمين الاستقامة على طاعته، والثبات على دينه، فالاستقامة على طاعة الله والثبات عليها يجب أن يكونا في هاجس كل مؤمن بلقاء الله تعالى؛ لأنهما السبيل الوحيدة للسعادة في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين.

من الآداب الإسلامية

الحلقة السابعة



آداب زيارة المريض

إعداد/ سعيد عامر
أمين عام لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبي الهدى والرحمة، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين، أما بعدُ:

فقد سبق الحديث في العدد الماضي عن حكم عيادة المريض، وبينًا مشروعية العيادة في كل مريض، رجلاً كان أو امرأة، أو طفلاً مسلمًا، أو كافرًا، أيًا كان مرضهُ لحديث: «.. وعودوا المريض». [البخاري ٣٠٤٦].

وفي هذا العدد نتحدث عن فضل عيادة المريض، فنقول وبالله التوفيق:

ثواب عيادة المريض

عيادة المريض هي زيارته وتفقُّده، وقد جزم البخاري بوجوبها، وبوَّب «بابُ وجوبِ عيادةِ المريض»، ولذا فهي من حقوق المسلم على أخيه المسلم، وقد وردت النصوص الكثيرة بفضلها، ومن ذلك أن:

عائد المريض زائر لله تعالى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فُلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عُدتهُ لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب، وكيف أُطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلانٌ فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمتَهُ لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي» [مسلم ٢٥٦٩].

ومعنى «مرضتُ»: قال العلماء: وإنما أضاف المرض إلى نفسه سبحانه وتعالى، والمراد مرض العبد؛ تشريفًا للعبد وتقريبًا له، والعرب إذا شرّفت أحدًا؛ حلّته محلاً وعبّرت عنه كما تعبر عن نفسها.

«أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده»: قال المازري: هو استعارة، أي لوجدت ثوابي وكرامتي، وعليه يُحمل ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾ [النور: ٣٩] أي مجازاته. قال القرطبي: هو تنزّل وتلطف في الخطاب والعتاب، ومقتضاه التعريف بعظيم ثواب تلك الأشياء، والحق أن عندية الله مع عبده صفة ثابتة له، نثبتها ونعتقدها، لا نكيِّفها، ولا نُمثِّلها، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

قال في العيادة: «لوجدتني عنده»، وفي الإطعام



والسقي: «لوجدت ذلك عندي»؛ رمزًا إلى أكثرية ثواب العيادة، والله -جل جلاله وتعاظمت آلاؤه- لا يمرض، ولا يجوع، ولا يعطش، ومقام الربوبية أعلى وأرفع من أن يُوصف بشيء من صفات البشر، أو يُضاف إليه أمر من أمور خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والحديث فيه الحث البالغ والطلب الوثيق، والترغيب في عيادة المريض، ولذا كانت عيادة المريض حقَّ المسلم على أخيه المسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس» [متفق عليه].

وفي رواية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني» [البخاري ٣٠٤٦].

وفي رواية عَنْ الْبَرَاء بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، وَرَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ. وَنَهَانَا عَنْ آنِيَةِ الْفِضَّةِ، وَخَاتَمِ الذَّهَبِ، وَالْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَالْقَسِّيِّ وَالْإِسْتَبْرَقِ» [البخاري ١٢٣٩].

هتاف الملائكة لعائد المريض

إن عائد المريض تهتف له الملائكة في السماوات العلا، وتدعو له بهذا الدعاء الطاهر الرفيع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عاد مريضًا نادى مُنادٍ من السماء: طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً» [ابن ماجه ١٤٤٣، وحسنه الألباني].

«طبت»: دعاء له بأن يطيب عيشه في الدنيا، «وطاب ممشاك»: طيب الممشى كناية عن سيره وسلوك طريق الآخرة.

عائد المريض في رحمة الله

عن هارون بن أبي داود قال: أتيتُ أنس بن مالك، فقلت: يا أبا حمزة، إن المكان بعيدٌ ونحن يُعجبنا أن نعودكَ، فرفع رأسهُ، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «أيما رجلٍ يعودُ مريضًا؛ فإنما يخوض في الرحمة، فإذا قعد عند المريض؛ غمرته الرحمةُ». قال: فقلت: يا رسول الله، هذا للصحيح الذي يعود المريض، فالمريضُ ما لهُ؟ قال: «تُحطّ عنه ذنوبه» [مسند احمد ١٢٧٨٢].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من عاد مريضًا؛ خاض في الرحمة، حتى إذا قعد؛ استقر فيها» [الأدب المفرد للبخاري ٥٢٢، وصححه الألباني].

عائد المريض تحيطه الملائكة وتستغفر له

عائد المريض أجره عظيم، وتُحسب له خطواته من حين يخرج من بيته إلى أن يصل: حسنات، وتحيطه في ذهابه وإيابه ملائكة الرحمة، تستغفر له، وتدعو له، عن علي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «ما من مسلم يعودُ مسلمًا غُدوةً إلا صلى عليه سبعون ألف ملَك حتى يمسي، وإن عاده عشيةً إلا صلى عليه سبعون ألفَ ملك حتى يُصبحَ، وكان له خريفٌ في الجنة» [الترمذي ٩٦٩ وصححه الألباني].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من عاد مريضًا؛ خاض في الرحمة، فإذا جلس إليه؛ غمرته الرحمة، فإن عاده من أول النهار؛ استغفر له سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده من أول الليل؛ استغفر له سبعون ألف ملك حتى يصبح». قيل: يا رسول الله، هذا للعائد، فما للمريض؟ قال: «أضعاف هذا» [الطبراني في الكبير (١١ / ١٩٧، رقم ١١٤٨١) وقال الهيثمي (٢ / ٢٩٨): فيه محمد بن عبد الملك الأنصاري، ولم أجد من ذكره].

عائد المريض في مخرفة الجنة

عن أبي الربيع رضي الله عنه رفعه إلى النبي ﷺ، وفي حديث سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «عائد المريض في مخرفةِ الجنةِ حتى يرجع» [مسلم ٢٥٦٨].

وفي رواية ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من عاد مريضًا لم يزل في خُرفةِ الجنة حتى يرجع». وفي رواية قيل: يا رسول الله، وما خُرفة الجنة؟ قال: «جنَاهَا». [البيهقي في شعب الإيمان ٩١٦٩].

«الخُرفة» بضم الخاء وسكون الراء: ما يُخترَق أي يُجتَنى من الثمرات، أي لم يزل كأنه في بستان يجتني منه الثمر. وشبّه ما يحوزه العائد من الثواب بما يحوزه المخترف من الثمر. وقيل: المراد بالخرفة هنا الطريق، والمعنى: أن العائد يمشي في طريق تؤديه إلى الجنة.

والمخرفة البستان، والطريق الواضح. «في خرفة الجنة» أي في بستانها. «حتى يرجع» من عيادته إلى بيته.

فهناك عند كل مريض تجد باقةً من الزهر النديِّ العطر مُهداةً للزائر، ومن زهراته الطيبات قولُهُ: «من عاد مريضًا لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع..» أيةُ صورة من صور الحثِّ والتكريم تفوقُ هذه الصورة أو تُضاهيها؟! وأي علاقة إنسانية تجد لها تعبيرًا كهذا الذي تجده في كلمات الرسول ﷺ؟!

إن هذا المريض يغالبُ العلة وتغالبُهُ، ويصارعُ السُقم ويُصارعه، وهو أكثرُ الناس حاجةً إلى كُلِّ ما تستطيعُهُ العلاقات الإنسانية من سلوى وعون، وبثٌ للعزيمة والأمل والطمأنينة والسرور.

ولذا، ففي عيادة المريض تحقيقٌ للتواصل بين المسلمين، وتحقيقٌ للألفة بينهم، وكذلك جبرُ لخاطر أهل المريض، وإشاعة روح المحبة بين الناس، وكذلك في عيادة المريض تطييبُ لخاطره ورفعٌ لروحه المعنوية مما يُعجّل له الشفاء.

عائد المريض يبشر بدخول الجنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح اليوم منكم صائمًا؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «من عاد منكمُ اليوم مريضًا؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «من شهد منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «من أطعم منكم اليوم مسكينًا؟» قال أبو بكر: أنا. قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في رجل إلا دخل الجنة» [مسلم ١٠٢٨].

عيادة المريض ربما تسقط الدين

ببركة العيادة تعمُّ المودةُ والتراحم بين المسلمين؛ إذ تُحبّب العائد فيمن يعودُه، ورُبما دفعته لأن يُسقط عنه دُيُونه. جاء في مدارج السالكين (٢ / ٣٠٤): «مَرِضَ قيسُ بنُ سعدِ بنِ عُبادة رضي الله عنهما مرةً فاستبطأ إخوانه في العيادة، فسأل عنهم، فقالوا: إنهم كانوا يستحيون مما لك عليهم من الدَّيْن. فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر مناديًا ينادي: من كان لقيس عليه مالٌ؛ فهو منه في حلٍّ، فما أمسى حتى كُسرت عتبةُ بابه لكثرة من عاده.

عيادة المريض هدي النبي ﷺ

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يُعودني وأنا مريضٌ بمكة، فقلتُ: لي مالٌ أوصي بمالي كُلِّه؟ قال: «لا». قلت: فالشطر؟ قال: لا، قلت: فالثلث؟ قال: «الثلث، والثلث كثيرٌ، إنك أنْ تدع ورثتك أغنياء، خيرٌ من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم، وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ». [البخاري ٢٧٤٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دَخَلَ على أعرابي يعوده، قال: وكان النبيُّ ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال له: لا بأس، طهورٌ إن شاء الله. [البخاري ٣٦١٦].

وعن أنس رضي الله عنه أن غلامًا ليهود كان يخدم النبيَّ ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقال: «أَسْلِمْ». فأسلم. [البخاري ٥٦٥٧].

وللحديث بقية إن شاء الله.



قتل أصحاب الأخدود

تعقيب القرآن

الحلقة الثانية

إعداد/ عبدالرزاق السيد عيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعدُ:

وقفنا بك أيها القارئ الكريم مع قصة أصحاب الأخدود في اللقاء الماضي، وقدَّمنا عرضًا موجزًا لها من خلال آيات سورة البروج، ووعدناك بالحديث عنها من خلال السنة النبوية، لكنني رأيت قبل ذلك أن أقف معك عند تعقيب القرآن الكريم على القصة من خلال السورة ذاتها، فهذا التعقيب فيه ذكرى وعبرة وعظة، ووصلٌ للحاضر بالماضي، واستخلاصٌ للدروس والعبَر.

والمعلوم أن سورة (البروج) التي جاءت القصة في ثناياها سورة مكية، نزلت تعالج مشكلات المسلمين في العهد المكيِّ، وتسرِّي عنهم، وتواسيهم، وتقدِّم لهم أمثلة عالية للثبات في مواجهة الفتن، في وقتٍ كانوا يواجهون فتن كفار قريش، وقد تنوعت واشتدت ما بين سبٍّ وضرب، وتعذيبٍ وقتلٍ، وحصارٍ؛ حتى جاء الصحابة إلى رسول الله ﷺ يشكون له، ويطلبون منه أن يدعو الله لهم، وأن يستنصر لهم، كما في صحيح البخاري «عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا: لَهُ أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ؛ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» [البخاري ٣٦١٢].

أقول: في هذه الأثناء نزلت هذه السورة؛ لتقدم مثلاً أعلى للإيمان حين تذوق حلاوته القلوبُ؛ فتستعلي به على حطام الدنيا، ويهون في سبيل الله كل غالٍ ورخيص، وإن كان بعض أصحاب رسول الله ﷺ، ومنهم خباب بن الأرت رضي الله عنهم جميعًا تعرَّضوا لوضع الحديد المحمي بالنار على رءوسهم؛ فإن المؤمنين في هذه القصة تعرضوا للإحراق في النيران بكامل أجسادهم، ولم يتركوا دينهم. نعم خسروا أجسادهم، لكنهم كسبوا دينهم وعقيدتهم، وكم كانوا سيخسرون لو تراجعوا؟ وكم كانت البشرية كلها ستخسر هذه المُثُل العليا؟

ومن هنا جاء التعقيب القرآني يستخلص العبرة، ويقدِّم الدرس، ويواسي المؤمنين المضطهدين ويثبتهم، ويهدِّد الظالمين الطغاة ليس في مكة وحدها، وليس في وقت نزولها فحسب، بل في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، فلننظر بم عقَّب ربنا ولنتامل، قال تبارك

وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ١٠- ٢٢].

قال صاحب البصائر: «معظم مقصود السورة: القَسَمُ على أصحاب الأخدود، وكمالُ مُلْك الملك المعبود، وثوابُ المؤمنين في جوار المقام المحمود، وعذابُ الكافرين في الجحيم المورود، وما للمطيع والعاصي من كرم الغفور الودود، والإشارةُ إلى هلاك فرعون وثمود».

ونعود للحديث عن التعقيب القرآني كما يلي:

١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أحرقوهم بالنار؛ ليصدوهم عن دينهم.

٢- ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ أي: فعلوا ما فعلوه بالمؤمنين من تحريق أو تعذيب، ثم ماتوا قبل أن يتوبوا ويعودوا إلى الله، وهذا يشمل أصحاب الأخدود الذين عذّبوا وحرّقوا المؤمنين والمؤمنات، ويشمل كفار قريش الذين عذّبوا المستضعفين من المؤمنين، ويشمل الطغاةَ والظلمةَ في كل زمان ومكان.

مسألةٌ:

لكن هناك نكتة لطيفة أشار إليها الإمام الحسن البصري؛ حيث قال: «انظروا إلى هذا الكرم والجُود يدعوهم إلى التوبة! وقد فتنوا أولياءه، فحرقوهم بالنار، فلا ييأس العبد أبدًا من مغفرة ربه وعفوه، ولو كان منه ما كان، فلا عداوة أعظم من هذه العداوة، ولا أكفر ممن حرّق المؤمنين بالنار؛ لأنهم آمنوا بالعزيز الغفار، ومع هذا فلو تابوا لقبلهم وألحقهم بأوليائه».

ونحن نقول: نعم لأن الله هو الغفور الرحيم، ولأنه الرحمن الرحيم، ولأن رحمته وسعت كل شيء، ولأنه كتب في كتابٍ هو عنده فوق العرش أن رحمته تسبق غضبه [متفق عليه]، وهذا في كتاب الله كثير، ونذكر منه هنا شيئًا يسيرًا:

قال الله تعالى مخاطبًا جميع العصاة مهما اقترفوا من ذنوب: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال عن المشركين الذين حاربوا المؤمنين وعن المنافقين: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٥].

وقال عن الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣، ٧٤].

انظروا رحمكم الله إلى سعة رحمة الله تبارك وتعالى، يدعو هؤلاء إلى التوبة! إلى طريق الله، مع ما فعلوه من شرك وكفر، فقد جاءوا شيئًا إدًا، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا، ومع هذا لو تابوا؛ لتاب الله عليهم؛ لأنه هو الغفور الرحيم، فسبحان الله على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته، ما أوسع عفوه! وما أعظم رحمته! فهو أرحم الراحمين ورب العالمين.

٣- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١]، فكما هدَّد سبحانه المجرمين بعذاب جهنم؛ بشَّر المؤمنين بما أعدَّه لهم من نعيم مقيم في جنات النعيم، وهذا فضل الله وذاك عدله.

٤- ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٢- ١٤]، وهذا يتناسب مع تهديده لأعدائه ومودته لأوليائه، فذكر سبحانه بطشه الشديد بأعدائه، ومغفرته ومودته لأوليائه.

قال ابن القيم - رحمه الله-: «ومن كان كذلك فلا أشد من بطشه، وهو مع ذلك الغفور الودود، يغفر لمن تاب ويودّه ويحبه، فهو سبحانه الموصوف بشدة البطش، ومع ذلك هو الغفور الودود».

قال البخاري في صحيحه: الودود الحبيب، والتحقيق أن اللفظ يدل على الأمرين: على كونه وادًا لأوليائه، ومودودًا لهم، فأحدهما بالوضع فهو الحبيب المحِب لأوليائه يحبهم ويحبونه، وقال شعيب عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

ثم قال رحمه الله: «وما ألطف اقتران اسم الودود بالرحيم وبالغفور؛ فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك يرحم من لا يحب، والرب تعالى يغفر لعبده؛ إذا تاب إليه، ويرحمه ويحبه مع ذلك».

٥- ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ فأضاف العرش إلى نفسه - سبحانه - إضافة تشريف وتعظيم، وهذا يدل على عظمة العرش، وقربه منه سبحانه، واختصاصه به.

٦- ﴿الْمَجِيدُ﴾ والمجد في لغة العرب: كثرة أوصاف الكمال، وكثرة أفعال الخير، وهو أحق ما يُوصف به الكبير المتعال - سبحانه وتعالى-، ومن قرأ «الْمَجِيدِ» بالكسر فهو صفة للعرش.

٧- ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ يفعل ما يشاء كيفما شاء وقتما شاء؛ لا رادَّ لفعله، ولا معقِّب لحكمه.

٨- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ قال الإمام القرطبي: «قد أتاك يا رسولنا خبر الجموع الكافرة المكذِّبة لأنبيائهم، وما حلَّ بهم من العذاب؛ يؤنسه ويسليه، ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾، وإنما خصَّ فرعون وثمود؛ لأن ثمود في بلاد العرب، وقصتهم عندهم مشهورة، وإن كانوا من المتقدمين، أما فرعون فكان مشهورًا عند أهل الكتاب وغيرهم، وكان من المتأخرين في الهلاك، فدلَّ بهما على أمثالهما في الهلاك. والله أعلم».

٩- ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾، والعجبُ كل العجب ممن يكفر بالله - سبحانه - وهو محيطٌ به، واقعٌ في قبضته، قادرٌ عليه من كل وجه وبكل اعتبار، وهذا تحذير لعباده من سلوك سبيل هؤلاء المعاندين الذين جاء ذكرهم في كتاب الله على مرّ التاريخ، وإن ربك لبالمرصاد.

١٠- ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾، وصَف الله سبحانه وتعالى كلامه بأنه مجيد، وهو أحق بالمجد من كل كلام، كما أن المتكلم به سبحانه له المجد كله، فهو المجيد - سبحانه - وكلامه مجيد، وعرشه مجيد، والمجد: كثرة الخير. وكثرة خير القرآن لا يعلمها إلا من تكلم به، والشرف كل الشرف، والمجد كل المجد لمن اهتدى به، والويل كل الويل لمن أعرض عنه.

١١- الختام: ونختم هذا التعقيب القرآني بتعقيب للإمام ابن القيم على هذه السورة، فيقول - رحمه الله-: «وقد اشتملت هذه السورة على اختصارها من التوحيد على وصفه - سبحانه - بالعزة المتضمنة للقدرة والقوة وعدم النظير، والحمد المتضمن لصفات الكمال، والتنزيه عن أضدادها، مع محبته وإلهيته، وملكه السماوات والأرض المتضمن لكمال غناه، وسعة مُلكه، وشهادته على كل شيء المتضمن لعموم اطلاعه على ظواهر الأمور وبواطنها، وإحاطة بصره بجزئياتها، وسمعه بمسموعاتها، وعلمه بمعلوماتها، ووصفه بشدة البطش المتضمن لكمال القوة والعزة والقدرة، وتفرُّده بالإبداء والإعادة المتضمن لتوحيد ربوبيته، وتصرُّفه في المخلوقات بالإبداء والإعادة وانقيادها لقدرته، ووقوعها جميعًا تحت قبضته؛ فلا يستعصي عليه منها شيء، ووصفه بالمغفرة المتضمن لكمال جوده وإحسانه وغناه ورحمته، ووصفه بالودود المتضمن لكونه حبيبًا لعباده محبًا لهم، ووصفه بأنه ذو العرش الذي لا يقدر قدره سواه، وأن عرشه المختص به لا يليق بغيره أن يستوي عليه بالمجد المتضمن لسعة العلم والقدرة، والملك والغنى، والجود والإحسان والكرم، وكونه فعالاً لما يريد المتضمن لحياته التامة، وعلمه الشامل، وقدرته النافذة، وحكمته ومشيئته، وغير ذلك من أوصاف الكمال. فهذه السورة كتاب مستقل في أصول الدين، تكفي من فهمها». [التبيان في أقسام القرآن ١ / ٥٧].

أقول: نعم تكفي من فهمها أن يمتلئ قلبه يقينًا في ربه ومعبوده، وثقة في وعده ونصره لعباده المؤمنين في كل زمان ومكان، وكم نحن في حاجة إلى ذلك؟ والله المستعان. والحمد لله رب العالمين.

اللُّمَع

بعض سنن الجُمَع

الحلقة الثانية

إعداد/ أيمن دياب

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فقد تكلمنا في عدد سابق عن بعض سنن يوم الجمعة التي أضحت نسيًا منسيًا؛ لانشغال العباد في زماننا بمُلهيات الحياة التي قُدِّمت على كثير من العبادات، وهذا تنكير لإحياء هذه السنن المهجورات، التي هي سبيل الرشاد لإرضاء رب الأرض والسماوات في الدنيا والآخرة، فنكمل ما قد بدأناه من قبل فنقول وبالله تعالى التوفيق:

يستحب فيه الدنو من الإمام

لأنَّهُ يَوْمٌ يَتَجَلَّى اللَّهُ عزَّ وجلَّ فيه لأَوْلِيَائه الْمُؤْمنينَ في الْجنَّة وَزيَارتهمْ لَهُ عزَّ وجلَّ؛ فيَكُونُ أَقْرَبهُمْ منْهُ أَقْرَبهُمْ منَ الإمَام، وَأَسْبَقهُمْ إلَى الزِّيَارَة أَسْبَقهُمْ إلَى الْجُمُعَة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «أَتَاني جبْريلُ وفي يَده كَالمرْآة الْبَيْضاء فيهَا كَالنكْتَة السوْدَاء. فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جبْريلُ؟ قَالَ: هذه الْجُمُعَة يَعْرِضهَا اللَّهُ عَلَيْكَ لتَكُونَ لَكَ عيدًا ولقَوْمكَ منْ بَعْدكَ. قُلْتُ: وَمَا لَنَا فيهَا؟ قَالَ: لَكُمْ فيهَا خَيْرٌ، أَنْتَ فيهَا الأَوَّلُ، والْيَهُودُ وَالنَّصَارَى منْ بَعْدكَ، وَلَكَ فيهَا سَاعَةٌ لاَ يَسْأَلُ اللَّهَ عزَّ وجلَّ عَبْدٌ فيهَا شَيْئًا هُوَ لَهُ قَسْمٌ إلاَّ أَعْطَاهُ، أَوْ لَيْسَ لَهُ قَسْمٌ إلاَّ أعطَاهُ أَفْضَلَ منْهُ، وَأَعَاذَه اللَّهُ منْ شَرِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْه، وإلاَّ دَفَعَ عَنْهُ مَا هُوَ أعظَمُ منْ ذلك.

قالَ: قُلْتُ: وَمَا هذه النكْتَةُ السَّوْدَاءُ؟ قَالَ: هيَ السَّاعَةُ تَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَة، وَهُوَ عنْدَنَا سَيِّدُ الأَيَّام، ويَدْعُوهُ أَهْلُ الآخرَة يَوْمَ المَزيد.

قَالَ: قُلْتُ: يَا جبريلُ، وَمَا يَوْمُ المَزيد؟ قَالَ: ذلكَ أَنَّ رَبَّكَ عزَّ وجلَّ اتَّخَذَ في الجَنَّة وَاديًا أَفْيَحَ منْ مسْك أَبْيَضَ، فَإذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَة، نَزَلَ عَلَى كُرْسيِّه، ثُمَّ حُفَّ الْكُرْسيُّ بمَنَابرَ منْ نُور، فَيَجيءُ النَّبيُّونَ حَتَّى يَجْلسُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ حُفَّ المَنَابرُ بمَنَابرَ منْ ذَهَب، فَيَجيءُ الصِّدِّيقُونَ والشُّهَدَاءُ حَتَّى يَجْلسُوا عَلَيْهَا، وَيَجيءُ أَهْلُ الغُرَف حَتَّى يَجلسُوا عَلَى الكُثُب. قَالَ: ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وجلَّ قال: فَيَنْظُرُونَ إلَيْه، فَيَقُولُ: أَنَا الَّذي صدَقْتُكُمْ وَعدي، وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نعْمَتي، وهَذَا مَحَلُّ كَرَامَتي فَسَلُوني، فَيَسأَلُونَهُ الرِّضَا. قَالَ: رضَايَ أَنْزَلَكُمْ داري، وأَنَالَكُمْ كَرَامَتي، فَسَلُوني، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا. قَالَ: فَيَشْهَدُ لَهُمْ بالرضَا، ثُمَّ يَسْأَلُونَهُ، حَتَّى تَنْتَهيَ رَغْبَتُهمْ، ثمَّ يُفْتَحُ لَهُمْ عنْدَ ذَلكَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْب بَشَر. قَالَ: ثمَّ يَرْتَفعُ رَبُّ العزَّة، وَيَرْتَفعُ مَعَهُ النَّبيُّونَ والشُّهَدَاء، وَيَجيءُ أَهْلُ الغُرَف إلى غُرَفهم. قَالَ: كُلُّ غُرْفَة منْ لُؤْلُؤَة لا وَصْلَ فيهَا وَلاَ فَصْمَ، يَاقُوتَة حَمْرَاء، وغُرْفَةٌ منْ زَبَرْجَدَة خَضْراء، أبوابها وعَلاَليهَا وسقَائفُهَا وأَغْلاَقُهَا منها أنهارُهَا مُطَّردَة متدلِّية فيهَا أَثْمَارُهَا، فيهَا أَزْوَاجُهَا وخَدَمُهَا. قال: فَلَيْسُوا إلى شَيْء أَحوجَ منْهُمْ إلى يَوْم الجُمُعَة ليَزْدَادُوا منْ كَرَامَة اللَّه

عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم، فذلك يوم المزيد» [صحيح الترغيب والترهيب ٣٧٦١].

يستحب فيه قراءة سورة الكهف

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ؛ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ» [صحيح الترغيب والترهيب ٧٣٦]، وفي رواية «أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ» [صحيح الجامع ٦٤٧١].

قال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله-: «سورة الكهف لها مزايا، منها: أن من قرأ فواتحها على الدجال؛ عُصم من فتنته.

ومنها: قصة أصحاب الكهف، ومنها: قصة الرجلين ذوي الجنتين، ومنها: قصة موسى مع الخضر، ومنها: قصة ذي القرنين، ومنها: قصة ياجوج وماجوج.

ولهذا ورد الترغيب في قراءتها في يوم الجمعة قبل الصلاة أو بعد الصلاة. [الشرح الممتع بتصرف ٥ / ٦٧].

يُسْتَحَبُّ فيه الانشغال بالصلاة وَالذِّكْرِ وَالْقِرَاءَةِ لموافقة سَاعَةِ الإِجَابَةِ، وَهِيَ السَّاعَةُ الَّتِي لاَ يَسْأَلُ اللَّهَ عَبْدٌ مُسْلِمٌ فِيهَا شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لاَ يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَقَالَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا يُزَهِّدُهَا» [متفق عليه]، وفي رواية الإمام البخاري: «وَقَالَ بِيَدِهِ وَوَضَعَ أُنْمُلَتَهُ عَلَى بَطْنِ الْوُسْطَى وَالْخِنْصَرِ قُلْنَا: يُزَهِّدُهَا».

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: «وَالَّذِينَ قَالُوا بِتَعْيِينِهَا اخْتَلَفُوا عَلَى أَحَدَ عَشَرَ قَوْلاً، وَأَرْجَحُ هَذِهِ الأَقْوَالِ: قَوْلاَنِ تَضَمَّنَتْهُمَا الأَحَادِيثُ الثَّابِتَةُ، وَأَحَدُهُمَا أَرْجَحُ مِنَ الآخَرِ.

الأَوَّلُ: أَنَّهَا مِنْ جُلُوسِ الإِمَامِ إِلَى انْقِضَاءِ الصَّلاَةِ: وَحُجَّةُ هَذَا الْقَوْلِ حَدِيثُ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ لَهُ: أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَأْنِ سَاعَةِ الْجُمُعَةِ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلاَةُ» [مسلم ٢٠١٢].

الثَّانِي: أَنَّهَا بَعْدَ الْعَصْرِ: وَهَذَا أَرْجَحُ الْقَوْلَيْنِ وَهُوَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلاَمٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما وَالإِمَامِ أَحْمَدَ، وَخَلْقٍ. وَحُجَّةُ هَذَا الْقَوْلِ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَهِيَ بَعْدَ الْعَصْرِ» [صحيح سنن الترمذي ٤٩١].

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: «السَّاعَةُ الَّتِي تُذْكَرُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مَا بَيْنَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ». وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ؛ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، وَهَذَا هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ السَّلَفِ وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ الأَحَادِيثِ» [زاد المعاد ١ / ٣٧٧ - ٣٨٢].

يستحب فيه تجمير المسجد

عَنْ نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُجْمِرِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: «أَمَرَ أَنْ يُجَمَّرَ مَسْجِدُ الْمَدِينَةِ كُلَّ جُمُعَةٍ حِينَ يَنْتَصِفُ النَّهَارُ».

قَالَ الحافظ ابْنُ حَجَرٍ -رحمه الله-: «قَوْلُهُ عَنْ نُعَيْمٍ الْمُجْمِرِ هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدَنِيُّ، وُصِفَ هُوَ وَأَبُوهُ بِذَلِكَ؛ لِكَوْنِهِمَا كَانَا يُبَخِّرَانِ مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ» [الفتح ١ / ٢١٨].

وعن ابن عمر أن عمر -رضي الله عنه-: «كَانَ يُجْمِرُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كل جمعة».

قَالَ الحافظ ابْنُ حَجَرٍ -رحمه الله-: «وَبِهِ يُعْلَمُ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ تَجْمِيرُ الْمَسْجِدِ بِالْبَخُورِ خلافًا لمالك حَيْثُ كَرِهَهُ، فَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُجَمِّرُ الْمَسْجِدَ إِذَا قَعَدَ عُمَرُ رضي الله عنه عَلَى الْمِنْبَرِ، وَاسْتَحَبَّ بَعْضُ السَّلَفِ التَّخْلِيقَ بِالزَّعْفَرَانِ وَالطِّيبِ، وَرُوِيَ عَنْهُ عليه السلام فِعْلُهُ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: هُوَ سُنَّةٌ». [انظر: الثمر المستطاب (١ / ٥٨٦)].

يُسْتَحَبُّ فيه قراءة سُورَةِ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ أَوْ سَبِّحْ وَالْغَاشِيَةِ فِي صَلاَةِ الْجُمُعَةِ:

فَقَدْ كَانَ رسول الله ﷺ يَقْرَأُ بِهِنَّ فِي الْجُمُعَةِ ثَبَتَ عَنْهُ ذَلِكَ كُلُّهُ: فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلاَةِ الْجُمُعَةِ: سُورَةَ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ» [مسلم ١٤٥٤]، وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَفِي الْجُمُعَةِ بِـ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) وَ (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)» [مسلم ١٤٥٢].

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: «وَلاَ

يُسْتَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ بَعْضَهَا أَوْ يَقْرَأَ إِحْدَاهُمَا فِي الرَّكْعَتَيْنِ؛ فَإِنَّهُ خِلَافُ السُّنَّةِ وَجُهَّالُ الأَئِمَّةِ يُدَاوِمُونَ عَلَى ذَلِكَ» [الزاد ١ / ٣٦٩].

في الخطبة

الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا الثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ وَتَمْجِيدُهُ، وَالشَّهَادَةُ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَلِرَسُولِهِ ﷺ بِالرِّسَالَةِ، وَتَذْكِيرُ الْعِبَادِ بِأَيَّامِهِ وَتَحْذِيرُهُمْ مِنْ بَأْسِهِ وَنِقْمَتِهِ، وَوَصِيَّتُهُمْ بِمَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْهِ وَإِلَى جِنَانِهِ، وَنَهْيُهُمْ عَمَّا يُقَرِّبُهُمْ مِنْ سُخْطِهِ وَنَارِهِ؛ فَهَذَا هُوَ مَقْصُودُ الْخُطْبَةِ وَالاجْتِمَاعِ لَهَا.

وهذه بعض سنن النبي ﷺ التي أضحت نسيًا منسيًا، وتغافلها كثير من خطباء زماننا إلا ما رحم ربي وعصم في خطبة الجمعة، ومنها:

إِذَا خَطَبَ ﷺ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ، وَيَقُولُ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وَيَقْرِنُ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى. [مسلم ٨٦٧].

وَكَانَ يُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيَقْصِدُ الْكَلِمَاتِ الْجَوَامِعَ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ. [مسلم ٨٦٩].

وَكَانَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ فِي خُطْبَتِهِ قَوَاعِدَ الإِسْلَامِ وَشَرَائِعَهُ، وَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ فِي خُطْبَتِهِ إِذَا عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ، كَمَا أَمَرَ الدَّاخِلَ وَهُوَ يَخْطُبُ أَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، وَنَهَى الْمُتَخَطِّيَ رِقَابَ النَّاسِ عَنْ ذَلِكَ، وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ.

وَكَانَ يَقْطَعُ خُطْبَتَهُ لِلْحَاجَةِ تَعْرِضُ أَوِ السُّؤَالِ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَيُجِيبُهُ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى خُطْبَتِهِ فَيُتِمُّهَا.

وَكَانَ رُبَّمَا نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ لِلْحَاجَةِ، ثُمَّ يَعُودُ فَيُتِمُّهَا، كَمَا نَزَلَ لأَخْذِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- فَأَخَذَهُمَا ثُمَّ رَقِيَ بِهِمَا الْمِنْبَرَ، فَأَتَمَّ خُطْبَتَهُ.

وَكَانَ يَدْعُو الرَّجُلَ فِي خُطْبَتِهِ تَعَالَ يَا فُلَانُ، اجْلِسْ يَا فُلَانُ، صَلِّ يَا فُلَانُ.

وَكَانَ يَأْمُرُهُمْ بِمُقْتَضَى الْحَالِ فِي خُطْبَتِهِ؛ فَإِذَا رَأَى مِنْهُمْ ذَا فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ؛ أَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَحَضَّهُمْ عَلَيْهَا.

وَكَانَ يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ فِي خُطْبَتِهِ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَدُعَائِهِ.

وَكَانَ يَسْتَسْقِي بِهِمْ إِذَا قَحَطَ الْمَطَرُ فِي خُطْبَتِهِ.

وَكَانَ يُمْهِلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ؛ فَإِذَا اجْتَمَعُوا خَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ اسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَدْعُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ثُمَّ يَجْلِسُ وَيَأْخُذُ بِلَالٌ فِي الأَذَانِ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْهُ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَخَطَبَ مِنْ غَيْرِ فَصْلٍ بَيْنَ الأَذَانِ وَالْخُطْبَةِ لَا بِإِيرَادِ خَبَرٍ وَلَا غَيْرِهِ.

وَكَانَ مِنْبَرُهُ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ قَبْلَ اتِّخَاذِهِ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ، وَلَمْ يُوضَعِ الْمِنْبَرُ فِي وَسَطِ الْمَسْجِدِ، وَإِنَّمَا وُضِعَ فِي جَانِبِهِ الْغَرْبِيِّ قَرِيبًا مِنَ الْحَائِطِ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَائِطِ قَدْرُ مَمَرِّ الشَّاةِ.

وَكَانَ يَقُومُ فَيَخْطُبُ ثُمَّ يَجْلِسُ جِلْسَةً خَفِيفَةً، ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ الثَّانِيَةَ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْهَا أَخَذَ بِلَالٌ فِي الإِقَامَةِ.

وَكَانَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالدُّنُوِّ مِنْهُ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالإِنْصَاتِ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَالَ لِصَاحِبِهِ أَنْصِتْ فَقَدْ لَغَا. [الترمذي ٥١٢ وصححه الألباني].

هذا ملخص هدي النبي ﷺ في الخطبة الذي أرسله ربه إلى الناس ليقتدوا ويتأسوا به في أقواله وأفعاله، فهديه هو المقصود الشرعي من الخطبة.

هذا ولتعلم أيها القارئ الكريم

أَنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يُسْتَحَبُّ أَنْ يُتَفَرَّغَ فِيهِ لِلْعِبَادَةِ، وَلَهُ عَلَى سَائِرِ الأَيَّامِ مَزِيَّةٌ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَاجِبَةٍ وَمُسْتَحَبَّةٍ؛ فَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ- جَعَلَ لأَهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ يَوْمًا يَتَفَرَّغُونَ فِيهِ لِلْعِبَادَةِ، وَيَتَخَلَّوْنَ فِيهِ عَنْ أَشْغَالِ الدُّنْيَا، فَيَوْمُ الْجُمُعَةِ يَوْمُ عِبَادَةٍ، وَهُوَ فِي الأَيَّامِ كَشَهْرِ رَمَضَانَ فِي الشُّهُورِ، وَسَاعَةُ الإِجَابَةِ فِيهِ كَلَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي رَمَضَانَ.

وَلِهَذَا مَنْ صَحَّ لَهُ يَوْمُ جُمُعَتِهِ وَسَلِمَ؛ سَلِمَتْ لَهُ سَائِرُ جُمُعَتِهِ، وَمَنْ صَحَّ لَهُ رَمَضَانُ وَسَلِمَ؛ سَلِمَتْ لَهُ سَائِرُ سَنَتِهِ، وَمَنْ صَحَّتْ لَهُ حَجَّتُهُ وَسَلِمَتْ لَهُ؛ صَحَّ لَهُ سَائِرُ عُمُرِهِ، فَيَوْمُ الْجُمُعَةِ مِيزَانُ الأُسْبُوعِ، وَرَمَضَانُ مِيزَانُ الْعَامِ، وَالْحَجُّ مِيزَانُ الْعُمُرِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. اهـ.

هذا آخر ما وفق الله -تعالى- إليه، في إحياء هذه السنن المهجورة.

والله الموفق، وهو من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

واحة التوحيد

تعرف على الله

الله فوق العرش، وعلمه في كل مكان

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

تعرف على رسول الله ﷺ

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ. قَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلا غَلِيظٍ، وَلا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا. [البخاري ٢١٢٥].

من فضائل ذي النورين عثمان

عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنهما: قال: «جاء عثمانُ إلى النبيِّ -ﷺ- بألف دينار في كُمِّه حين جَهَّزَ جيشَ العُسْرة، فنثرها في حجره. قال عبد الرحمن: فرأيتُ النبيَّ -ﷺ- يُقلِّبها في حجره، ويقول: ما ضَرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم- مرتين» [الترمذي ٣٧٠١ وحسنه الألباني].

من جوامع الدعاء

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». [مسلم ٢٧١٩].

اجعل الدنيا في يدك لا في قلبك!

عن جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إن البدن إذا سقم؛ لا ينفع فيه طعام ولا شراب، ولا نوم، ولا راحة. وكذلك القلب إذا علق فيه حب الدنيا؛ لم ينفع فيه المواعظ. فسمعته يقول: بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج همّ الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة؛ فكذلك يخرج همّ الدنيا من قلبك. [صفة الصفوة].

قواعد ذهبية في توحيد رب البرية

«والإنسان يذنب دائمًا، فهو فقير مذنب، وربه تعالى يرحمه ويغفر له، وهو الغفور الرحيم، فلولا رحمته وإحسانه لما وُجِدَ خيرٌ أصلاً، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولولا مغفرته لما وقى العبد شر ذنوبه، وهو محتاج دائمًا إلى حصول النعمة، ودفع الضر والشر، ولا تحصل النعمة إلا برحمته، ولا يندفع الشر إلا بمغفرته». [مجموع الفتاوى ١ / ٤٢].

إعداد/ علاء خضر

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(ما خلَّف عبدٌ على أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرًا). (ضعيف). وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: «كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ؛ فلا تعبدوها». وقال ابن مسعود: «اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفيتم؛ وعليكم بالأمر العتيق».
[السلسة الضعيفة للألباني].

من حكمة الشعر

قيل في الحث علي فعل الخير:

من يفعلِ الخير لا يعدمْ جوازيَه
لا يذهبُ العُرفُ بين الله والناس
من ساسَ خيرًا رأى خيرًا ومن وَلَدَتْ
أفعالهُ الشرَّ لاقى شرَّ ما تلدُ

من مسائل العقيدة الصحيحة

قيل لأبي عبد الله (أحمد بن حنبل): «الله فوق السماء السابعة على عرشه، بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم، هو على عرشه، ولا يخلو شيء من علمه».

وعن إسحاق قال: دخلت على ابن طاهر، فقال ما هذه الأحاديث! يروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا؟ قلت: نعم، رواها الثقات الذين يروون الأحكام. فقال: ينزل ويدع عرشه؟ فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ قال: نعم. قلت: فَلِمَ تتكلم في هذا؟ [العلو للذهبي].

طرائف

عن محمد بن العلاء الكاتب قال: قال حمزة بن بيض لغلام له: أي يوم صلينا الجمعة في الرصافة؟ ففكر الغلام ساعة، ثم قال: يوم الثلاثاء. [أخبار الحمقى لابن الجوزي].

من معاني الأحاديث

قال ﷺ: «ما أوتِيَ قومٌ الجدلَ إلا ضلُّوا». الجدل: مُقابَلة الحُجَّة بالحجَّة. والمُجادَلَة: المُناظرةُ والمخاصمة. والمراد به في الحديث الجدل على الباطل، وطلبُ المغالَبة به. فأما الجدَل لإظْهار الحقّ؛ فإنَّ ذلك محمودٌ؛ لقوله تعالى ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. [النهاية في غريب الحديث ابن الأثير].

نصائح لبناتنا!

عن أبي بشر أن أسماء بن خارجة الفزاري لما أراد أن يهدي ابنته إلى زوجها قال لها: يا بنية، كوني لزوجك أمَة؛ يكن لك عبداً، ولا تدني منه فَيَملَّك، ولا تباعدي عنه فتثقلي عليه، وكوني كما قلت لأمك:

خذي العفو مني تستمدي مودتي
ولا تنطقي في ثورتي حين أغضب
فإني رأيت الحب في الصدر والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

[شعب الإيمان ٦/ ٤١٩].

دراسات شرعية

أثر السياق

دلالات الألفاظ (٢)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

تتفاوت دلالات الألفاظ في درجات وضوحها وبيانها للمعنى، وإذا كنّا قد تكلمنا في المقال السابق عن النص والظاهر، فإن تقسيم الأحناف لدلالات الألفاظ يُعد أكثر تفصيلاً، ويُظهر بوضوح أثر القرائن في وضوح دلالة النص.

فقد رتّب الحنفية دلالات الألفاظ حسب درجات وضوحها إلى أربع مراتب:

الظاهر، والنص، والمفسر، والمحكم. وهي بهذا الترتيب تتجه إلى الأكثر وضوحًا، وهو المحكم، ويليه المفسر، ثم النص، ثم الظاهر، وترتيبها على هذا النحو إنما يعود إلى دور القرائن السياقية فيها، فالواضح الذي يحتمل أن تقوم القرائن بصرفه عن معناه الظاهر إلى غيره؛ تكون درجته أقل وضوحًا، ويسمّى عند الحنفية بالظاهر أو النص، أما الواضح الذي لا يقبل أن تقوم القرائن بصرفه عن معناه، وإنما تأتي القرائن لتؤكد دلالته على معناه، وقطعيته في ذلك المعنى؛ فهذا يكون أعلى درجات الوضوح وضوحًا، ويسمى بالمفسَّر أو المحكم.

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا الصدد أن الحنفية يقسّمون الألفاظ إلى قسمين كبيرين هما:

١- ما يقبل التأويل.

٢- ما لا يقبل التأويل.

أما ما يقبل التأويل فينقسم إلى: الظاهر، والنص.

وأما ما لا يقبل التأويل فينقسم إلى: المفسَّر، والمحكم.

فالاحتمالات الواردة على اللفظ ثلاثة: احتمال اللفظ غير ما ظهر منه، واحتماله التخصيص، واحتماله النسخ.

فإن احتمل اللفظ الاحتمالات الثلاث فهو «الظاهر»، وإن احتمل التخصيص والنسخ دون احتمال غير ما ظهر منه، فهو «النص»، وإن احتمل النسخ فقط دون الاحتمالين الأول والثاني فهو «المفسَّر»، وإن لم يحتمل أيًا من الاحتمالات الثلاثة فهو «المحكم».

وفائدة تقسيم الحنفية يظهر أثرها عند التعارض بين النصوص.

فالظاهر أقل درجات اللفظ وضوحًا؛ لأنه ليس المقصود الأصلي من الكلام.

وأما النص فهو أقوى من الظاهر في درجة وضوحه؛ وذلك لكونه مسوقًا لإفادة معناه، فهو يزيد على الظاهر في كونه المقصودَ الأصليَّ من الكلام، ويعرف هذا بقرينة من المتكلم نفسه، وليس من مجرد صيغة الكلام.

ويُمثّل للنص بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقر: ٢٧٥].

فهو نص في نفي التماثل بين البيع والربا من ناحية الحل والحرمة، وهذا المعنى هو الذي سيق الكلام لأجله، فهو للرد على الكافرين وغيرهم الذين زعموا أن البيع مثل الربا.

في فهم النص

الحلقة (٢٢)

إعداد/ متولي البراجيلي

ومع ذلك؛ فإن قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ظاهر الدلالة في حل البيع وحرمة الربا، دون حاجة إلى قرينة خارجية.

أولاً: المفسَّر

ما كان دلالته على معناه قطعية، فهو لذلك لا يحتمل تأويلاً ولا تخصيصًا، ولكنه يقبل النسخ في زمن الرسالة. ولذلك يعرِّفون المفسَّر بأنه «اللفظ الذي يدل على معناه دلالة واضحة لا يبقى معها احتمال للتأويل أو التخصيص، ولكنه مما يقبل النسخ في عهد الرسالة».

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، فلفظ «للناس» يحتمل التخصيص بأن النبي ﷺ أُرسل إلى قريش أو إلى العرب فقط.

وقد جاءت كلمة الناس مخصصة في مواضع من القرآن، كمثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فجاءت كلمة «كافة» لتنفي أي احتمال للتخصيص ويكون إرسال النبي ﷺ للناس أجمعين، العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود.

فالناس الأولى هو نعيم بن مسعود الأشجعي أو أعرابي من خزاعة، و«الناس» الثانية هم قريش.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾، فـ«الناس» هنا عام أريد به الخصوص، وهو النبي ﷺ.

ومثاله: قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠].

فإن الملائكة جمعٌ عام محتمل للتخصيص، بأن يرد ما يدل على أن المراد بالملائكة الأكثرون منهم مثلاً، فانسدَّ باب التخصيص بذكر الكل في قوله تعالى: ﴿كُلُّهُمْ﴾، وذكر الكل احتمل تأويل التفرق بأن يكونوا قد سجدوا متفرقين، فقطع ذلك بقوله تعالى: ﴿أَجْمَعُونَ﴾ فصار مفسرًا.

- وإذا كان الكلام في المثال السابق يُعدّ مفسرًا؛ لكونه قد اقترن في نفس الصيغة بما جعله لا يحتمل تأويلاً ولا تخصيصًا، فإن اللفظ قد يصير مفسرًا بعد أن كان مجملاً، وذلك إذا جاء نص آخر - قرينة منفصلة - يبيِّنه، ويرفع ما فيه من إبهام.

وقد مُثِّل للصيغة التي ترد مجملة، ثم يلحقها بيان تفسيري يرفع إجمالها حتى تصبح مفسرة لا تحتمل التأويل بقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فألفاظ الصلاة والزكاة والصيام، ألفاظ مجملة، فالصلاة لغة هي الدعاء، والزكاة لغة هي النماء والزيادة، والصوم لغة هو الإمساك، واستعملها الشارع في معانٍ خاصة، فأصبح لها إلى جانب المعاني اللغوية، معانٍ شرعية.

والآيات جاءت مجملة غير مفصلة، فبيَّنها رسول الله ﷺ وفصَّل معانيها بأقواله وأفعاله ﷺ.

بالنسبة للصلاة: ففي الصحيح عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شَبَبَة (أي شباب) متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يومًا وليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رفيقًا، فلما ظنَّ أنا قد اشتهينا أهلنا - أو قد اشتقنا أهلنا- سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه، قال: «ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلِّموهم ومُرُوهم - وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم». [متفق عليه].

فوائد الحديث:

١- لا يُقدم الأكبر - كما ذُكر في الحديث- إلا في حالة تساوي باقي الشروط التي ذُكرت في أحاديث أخرى: كحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواءً؛ فأعلمهم بالسنّة، فإن كانوا في السنّة سواءً؛ فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواءً فأقدمهم سنًا، ولا يَؤُمَّن الرجلُ الرجلَ

في سلطانه-وفي رواية: ولا يَؤُمَّنَّ الرجلُ الرجلَ في أهله- ولا يقعد في بيته على تَكْرِمته إلا بإذنه». [مسلم ٦٧٣].

٢- وعلى ذلك يكون الترتيب في الإمامة كما ورد في حديث ابن عباس، ويُحمل كلام النبي ﷺ: «وليؤمكم أكبركم» على أنهم كانوا متساوين في القرآن والعلم، كتساويهم في أعمارهم، وتساويهم في مدة إقامتهم بالمدينة يأخذون عن رسول الله ﷺ. ويدل على هذا أنه في رواية لأبي داود للحديث: «كنا يومئذ متقاربين في العلم». [أبو داود ٥٨٩ وحسنه الألباني] وفي رواية لأبي قلابة: «فأين القرآن؟ قال: إنهما كانا متقاربين»، وفي رواية لابن حزم: «متقارنين». [عمدة القاري: ٥ / ١٤٣].

٣- قال ابن حبان: قوله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي» لفظة أمر تشتمل على كل شيء كان يستعمله ﷺ في صلاته، فما كان من تلك الأشياء (أي ما تشتمل عليه الصلاة من أقوال وأفعال..) خصَّه الإجماع أو الخبر (الحديث) بالنقل، فهو لا حرج على تاركه في صلاته (يعني مستحبًا)، وما لم يخصُّه الإجماع أو الخبر بالنقل، فهو أمر حتم (واجب) على المخاطبين كافة لا يجوز تركه بحال. [صحيح ابن حبان ٥ / ٥٠٣].

أما الحج: ففي صحيح مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: «لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعليّ لا أحج بعد حجتي هذه». [مسلم ١٢٩٧].

«لتأخذوا مناسككم» فهذه اللام لام الأمر، ومعناه خذوا مناسككم، وهكذا وقع في رواية غير مسلم، وتقديره: هذه الأمور التي أتيتُ بها في حجتي من الأقوال والأفعال والهيئات هي أمور الحج وصفته، وهي مناسككم فخذوها عني واقبلوها واحفظوها، واعملوا بها، وعلّموها الناس، وهذا الحديث أصلٌ عظيم في مناسك الحج. [شرح النووي على مسلم: ٩ / ٤٥].

والزكاة: بيَّن النبي ﷺ مقاديرها وأنصبتها وشروطها، كما في كتاب أبي بكر رضي الله عنه الذي كتبه لأنس وعليه خاتم رسول الله ﷺ، وفيه: هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين، التي أمر الله عز وجل بها نبيه ﷺ، فمن سُئلها من المسلمين على وجهها؛ فليعطها، ومن سُئل فوقها فلا يُعطه... الحديث [البخاري ١٤٥٤].

وقد بيّن أنصبة الزكاة في الأنعام بالتفصيل. [أبو داود ١٥٦٩ وصححه الألباني].

وكحديثه ﷺ الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة، وليس فيما دون خمس أواقٍ من الورِق صدقة، وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة». [متفق عليه]. [والوسق: مكيال، والورِق: الفضة].

والصيام بيَّن النبي ﷺ حدوده وأحكامه في كثير من الأحاديث، منها حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب؛ فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه». [متفق عليه].

حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جُنُب من أهله، ثم يغتسل ويصوم. [متفق عليه].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ذرعه القيء؛ فلا قضاء عليه، ومن استقاء؛ فعليه القضاء». [ابن ماجه ١٦٧٦ وصححه الألباني].

ثانيًا: المحكم

وأما المحكم فهو أعلى درجة في الوضوح من الظاهر والنص والمفسَّر، وذلك أنه يشترك مع الظاهر والنص والمفسَّر في كونه يدل على معناه بصيغته من غير توقف على أمر خارجي، ويشترك مع النص والمفسَّر في كون معناه هو ما سيق الكلام له، ويشترك مع المفسَّر في كون دلالته على معناه دلالة قطعية لا تحتمل تأويلاً ولا تخصيصًا، ويزيد عليها جميعًا في كونه لا يقبل النسخ.

ولهذا يعرِّف العلماء المحكم بأنه: «اللفظ الدال على معناه دلالة واضحة لا تحتمل تأويلاً ولا تخصيصًا ولا نسخًا في حياة النبي ﷺ ولا بعد وفاته بالأولى». [أصول السرخسي ١ / ١٦٥].

وهذه الدرجة من القوة في وضوح دلالة المحكم تعود إلى ما قد يتضمنه اللفظ من أحكام أو إلى القرائن التي تقترن بذلك النص.

فأما إحكامه لما تضمنه من أحكام؛ فيكون في حالة تضمُّن النص حكمًا أساسيًا من قواعد الدين.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

فما تضمنته الآية من عبادة الله وحده وعدم الشرك به، والفضائل التي حث عليها من الإحسان إلى الوالدين وغيرهم، ممن هم مذكورون في الآية،

والنهي عن الخيلاء والكبر والفخر، فالتوحيد وأمهات الفضائل التي دعت إليها الآية من المحكم المتفق عليه بين جميع الشرائع.

وكمثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

فإن هذا من المُحكَم الذي لا يدخله تأويل ولا تخصيص ولا نسخ.

وكمثل حديث جبريل عليه السلام الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه السؤال عن أركان الإسلام والإيمان والإحسان.

فكل ما ذكرناه وما في معناه من المحكم.

- وقد يكون الإحكام في النص بأن يقترن به ما يفيد التأبيد - قرينة متصلة-:

مثال ذلك: ما أخرجه الحاكم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ في حجة الوداع، فقال: تركت فيكم شيئين كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض. [مستدرك الحاكم ٣١٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: ٢٩٣٧].

مثال آخر: ما أخرجه مسلم بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة». [مسلم ١٩٢٣].

فالإحكام في النصين المذكورين لاقترانهما بما يفيد التأبيد، في الحديث الأول: «حتى يردا عليَّ الحوض». وفي الحديث الثاني: «إلى يوم القيامة».

ثالثًا: أثر القرائن على أقسام دلالات الألفاظ

على ضوء ما ذكرنا من أقسام دلالات الألفاظ؛ فإنه يتبين أن أثر القرائن أثر مزدوج، فهي تعمل على تأويل اللفظ، كما في الظاهر والنص (حسب تقسيم الأحناف).

وتعمل على تأكيد اللفظ وتمنع من تأويله؛ كما في المفسَّر «المحكم» (حسب تقسيم الأحناف)، ويتجلى هذا الأثر للقرائن في الظاهر والنص، عندما يُقصد باللفظ معنى غير ظاهره، فلا بد أن تحفَّ بالكلام قرائن تدل على المعنى المخالف لظاهره؛ إذ الأصل في نصوص الشريعة حملها على ظاهرها، وأخذ الأحكام منها بحسب دلالتها الظاهرة، ولا يجوز العدول عن الظاهر إلا بدليل يقتضي هذا العدول.

مثال ذلك: ما أخرجه ابن ماجه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه». [سنن ابن ماجه ٢٠٤٥ وصححه الألباني].

(قال الألباني في «إرواء الغليل»:.. والمشهور في كتب الفقه والأصول بلفظ: «رفع عن أمتي»، ولكنه منكر. «إرواء الغليل»: ١ / ١٢٣).

فإن الحديث لا يمكن حمله على ظاهره، فالحديث يدل بمنطوقه على عدم وقوع الخطأ والنسيان من الأمة، وهذا غير مستقيم؛ لتعارضه مع نصوص أخرى كثيرة تُثبت وقوع الأمة في الخطأ والنسيان، وتعارضه مع الظاهر مما يقع من الناس؛ فلا بد من إضمار في الحديث حتى يستقيم الكلام.

وقد يمكن أن يُضمر فيه تقديرات مثل الذم، والعقاب، والضمان، وغيرها.

والإضمار يكون على خلاف الأصل؛ إذ إن الأصل في الكلام عدم الإضمار، ولا يُصار إليه إلا لضرورة، وفي الحديث لما امتنع حمل الكلام على ظاهره، احتاج إلى إضمار، والحاجة تندفع بإضمار واحد منها؛ فلو أضمر جميع التقديرات، لأُضمر مع الاستغناء عن الإضمار، وهو غير جائز، فكلما كان الإضمار أقل واستقام المعنى؛ كان أفضل.

فالتقدير: رُفع المأثم عن أمتي: إذا وقعوا في الخطأ والنسيان، أو رفع الحكم عن أمتي إذا وقعوا في الخطأ والنسيان، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥].

وكما بالحديث الذي رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال (الله): نعم. [مسلم ١٢٦].

فائدة

اعلم أنه إذا كان الإثم قد رُفع عن المخطئ؛ فإن ضمان ما أخطأ فيه وأتلفه غير مرفوع، فالضمان غير مرفوع إجماعًا؛ لتصريحه تعالى بضمان المخطئ في قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا﴾ [النساء: ٩٢].

وما أجمعت عليه الأمة من ضمان الخطأ في إتلاف الأموال، وأن الوضوء ينتقض بالأحداث الخارجة من المخرجين بالنسيان كالعمد.

فاتضح أن الإثم مرفوع، وأن الضمان غير مرفوع. [السياق وأثره في دلالات الألفاظ: د.عبد المجيد السوسوة، القطعية من الأدلة الأربعة محمد دمبي دكوري ص٣٤١- ٣٤٢، الإحكام لابن حزم ٧ / ٤٧، الإحكام للآمدي ٢ / ٢٤٩، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ١ / ٢٦٥- كل ذلك بتصرف].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

اتبعوا ولا تبتدعوا

القول الجازم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن صور من الشرك الأصغر في الأقوال، محذرين من الحلف بغير الله، والاستسقاء بالأنواء، وغير ذلك، وفي هذا المقال نتحدث عن الشرك في الأفعال وذلك من خلال الحديث عن الرقى والتمائم موضحين جملة من الأحكام المتعلقة بهذه المسألة الهامة حتى يكون المسلم على بصيرة من دينه، فنقول وبالله التوفيق:

أولاً الرُّقْيَةُ: هي الأذكار التي يُعَوَّذُ بها لرفع البلاء أو دفعه. والرُّقى تسمى العزائم، والعزائم في الأصل: رقًى كانوا يعزمون بها على الجن، فيقال: عزم الراقي، كأنه أقسم على الداء. [لسان العرب، مادة: عزم].

أنواع الرقى

١- الرقية الشرعية:

هي الأذكار من القرآن، والأدعية، والتعويذات الثابتة في السنة، والأدعية الأخرى المشروعة التي يقرأها الإنسان على نفسه، أو يقرؤها على غيره ليعيذه الله من الأضرار بأنواعها: من الأمراض، وشرور المخلوقات من السباع والهوام والجن والإنس وغيرها، فيعيذه منها بدفعها قبل وقوعها، أو يعيذه منها بعد وقوعها بأن يرفعها ويزيلها عنه. وقد تكون الرقية بالقراءة والنفث على بدن المرقي أو في يديه، ويمسح بهما جسده ومواضع الألم فيه.

شروط الرقية الشرعية

قال الحافظ في الفتح (١٠ / ١٩٥): «أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسماء الله وصفاته، أو بالأدعية النبوية الثابتة، وباللسان العربي، أو بما يُعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بقَدَر الله تعالى. اهـ بتصرف.

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقي به، فضلاً عن أن يدعو به، ولو عرف معناه؛ لأنه يُكره الدعاء بغير العربية، وإنما يُرخص لمن لا يُحسن العربية، فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعارًا؛ فليس من دين الإسلام». اهـ.

وحكم هذه الرقية أنها مستحبة، وهي من أعظم أسباب الشفاء من الأمراض بإذن الله تعالى، قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٤ / ١٨٢): «إن الأدوية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعًا مضرًا، وإن كان مؤذيًا، أما الأدوية فإنما تنفع بعد حصول الداء».

وقال في مدارج السالكين بعد قصة اللديغ في الحديث الذي رواه البخاري (٢٢٧٦): «فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه، فأغنته عن الدواء، وربما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدواء، هذا مع كون المحل غير قابل، إما لكون هؤلاء الحي غير مسلمين أو أهل بخل ولؤم، فكيف إذا كان محلاً قابلاً».

ثم قال رحمه الله: «فهنا أمور ثلاثة: موافقة الدواء للداء، وبذل الطبيب له، وقبول طبيعة العليل، فمتى تخلف واحدٌ منها؛ لم يحصل الشفاء، وإذا اجتمعت حصل الشفاء، ولا بد بإذن الله سبحانه وتعالى، ومن عرف هذا كما ينبغي؛ تبين له أسرار الرقى، وميّز بين النافع منها وغيره، ورقى الداء بما يناسبه من الرقى، وتبين له أن الرقية براقيها وقبول المحل، كما أن السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع،

في الرقى والتمائم

إعداد/ معاوية محمد هيكل

وهذه إشارة مطلعة على ما وراءها لمن بعد نظره وحسن تامله».

أمثلة من الرقى الشرعية

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا اشتكى؛ قرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عليه بيمينه؛ رجاء بركتها. [متفق عليه].

٢- عن عائشة رضي الله عنها قالت : أمرني رسول الله ﷺ - أو أمر - أن يسترقي من العين. [البخاري: ٥٧٣٨، ومسلم: ٢١٩٥].

٣- وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى؛ رقاه جبريل عليه السلام. [مسلم ٢١٨٥].

٤- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال : «يا محمد اشتكيت؟ فقال : نعم، قال : بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك». [مسلم: ٢١٨٦].

٥- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب؛ فلم يَقْرُوهُم، فبينما هم كذلك إذ لُدغ سيد أولئك، فقالوا: هل معكم من دواء أو راقٍ؟ فقال: إنكم لم تَقْرُونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعْلاً، فجعلوا لهم قطيعًا من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ، فأتوا بالشاء، فقالوا: لا نأخذ حتى نسأل النبي ﷺ، فسألوا، فضحك ﷺ وقال: وما أدراك أنها رقية، خذوه واضربوا لي بسهم. [متفق عليه].

٦- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال لثابت: ألا أرقيك برقية النبي ﷺ قال: بلى. قال: اللهم رب الناس، مذهب الباس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاءً لا يغادر سقمًا. [البخاري ٥٧٤٢].

٧- وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يرقي يقول: «امسح الباس رب الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت». [البخاري ٥٧٤٤].

٨- وعن أبي عبد الله عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه شكى إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل: بسم الله - ثلاثًا -، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر». [مسلم ٢٢٠٢]. وعند أبي داود بلفظ: «أعوذ بعزة الله وقدرته».

٩- عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن الرقية من الحُمَة، فقالت : رخَّص النبي ﷺ في الرقية من كل ذي حُمَة. [خ: ٥٧٤١].

١٠- وعن أنس رضي الله عنه قال : رخص النبي ﷺ في الرقية من العين والحُمة والنملة. [مسلم: ٢١٩٦]. والحُمَة: تُطلق على لدغ ذوات السموم كالحية والعقرب، والعين: هي الحسد وهو حق وله تأثير، لكن لا تأثير له إلا بإذن الله، قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ [القلم: ٥١]، فسره بإصابة العين ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «إن العين حق». [البخاري: ٥٧٤٠، ومسلم: ٢١٨٧]. والنملة: قروح تخرج في الجنب.

هل طلب الرقية ينافي التوكل؟!

استدل أهل العلم على استحباب الرقية في حق المرقي والراقي بالأحاديث السابقة؛ وبما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بـ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وبالمعوذتين جميعًا، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده، قالت عائشة: فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به». [البخاري: ٥٧٤٨].

وعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ، فَقَالَ: «اسْتَرْقُوا لَهَا؛ فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ» [البخاري ٥٧٣٩]، والنظرة: الإصابة بالعين.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كان لي خالٌ يرقي من العقرب، فنهى رسول الله ﷺ عن الرُّقى، قال: فأتاه فقال: يا رسول الله، إنك نهيت عن الرقى، وأنا أرقي من العقرب؟ فقال: من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل». [مسلم: ٢١٩٩].

فهذه الأحاديث صريحة في استحباب طلب الرقية، وأنه لا نقص في توكل العبد إذا رقى نفسه أو طلب من غيره أن يرقيه؛ لفعله وأمره بذلك لأهله ﷺ، وهو أفضل البشر توكلاً عليه الصلاة والسلام، وهو ﷺ لا يفعل ولا يأمر أهله إلا بما هو أفضل في حقه وحق أهل بيته رضوان الله عليهم.

وطلب الرقية من المسلم من جنس طلب الدعاء منه، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١ / ١٨٢).

قال القرطبي رحمه الله: «الرقى بأسماء الله تعالى هو غاية التوكل على الله، فإنه التجاء إليه ويتضمن ذلك رغبة له، وتبركًا بأسمائه، والتعويل عليه في كشف الضر والبلاء، فإن كان هذا قادحًا؛ فليكن الدعاء والأذكار قادحًا في التوكل، ولا قائل به، وكيف يكون ذلك؟ وقد رقى النبي ﷺ واسترقى، ورقاه جبريل، ورقته عائشة، وفعل ذلك الخلفاء والسلف، فإن كانت الرقى قادحة في التوكل ومانعة من اللحوق بالسبعين ألفًا؛ فالتوكل لم يتم للنبي ﷺ ولا لأحد من الخلفاء، ولا يكون أحد منهم في السبعين ألفًا مع أنهم أفضل مَن وافى القيامة بعد الأنبياء، ولا يتخيل هذا عاقل. [المفهم ١ / ٤٦٤].

وقال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم عند شرح الحديث (٤٩): «ومن رجح التداوي قال: إنه حالُ النبي ﷺ الذي كان يداوم عليه، وهو لا يفعل إلا الأفضل، وحمل الحديث - أي حديث السبعين ألفًا - على الرقى المكروهة التي يخشى منها الشرك بدليل أنه قرنها بالكي والطيرة، وكلاهما مكروه». اهـ.

النوع الثاني: الرقى المحرمة

ومنها الرقى الشركية، وهي الرقى التي يعتمد فيها الراقي أو المرقي على الرقية؛ فإن اعتمد عليها مع اعتقاده أنها سبب من الأسباب، وأنها لا تستقل بالتأثير؛ فهذا شرك أصغر، وإن اعتمد عليها اعتماداً كليًا حتى اعتقد أنها تنفع من دون الله، أو تضمنت صرف شيء من العبادة لغير الله، كالدعاء، أو الاستعاذة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فهذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

وإنما كان ذلك من الشرك؛ لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله، كما قرر ذلك الحافظ في الفتح (١٠ / ١٩٦). اهـ.

والدليل على تحريم الرقى الشركية: قول النبي ﷺ: «إن الرقى والتمائم والتولة شركٌ». [أبو داود ٣٨٨٥، وصححه الألباني]. والتولة نوع من السحر يحبِّب المرأةَ إلى زوجها.

والرقى الموصوفة بكونها شركًا في الحديث التي يستعان فيها بغير الله، وأما إذا ذُكر فيها أسماء الله وصفاته وما أُثر عن النبي ﷺ؛ فهذا حسن جائز ومستحب.

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا عليَّ رُقَاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك» [مسلم ٢٢٠٠].

ومن الرقى المحرمة كذلك: أن تكون الرقية فيها طلاسم، أو ألفاظ غير مفهومة، والغالب أنها رُقًى شركية.

قال الحافظ في الفتح (١٠ / ١٩٥): دل حديث عوف أنه مهما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك: يُمنع، وما لا يعقل معناه لا يُؤْمَنُ أن يؤدي إلى الشرك؛ فيُمنع احتياطًا.

قال الخطابي: وكان عليه السلام قد رقى ورُقِي وأمر بها وأجازها، فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله تعالى فهي مباحة أو مأمور بها، وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان بغير لسان العرب، فإنه ربما كان كفرًا أو قولاً يدخله الشرك.

وقال الشيخ حافظ حكمي كلامًا جامعًا مانعًا في «سلَّم الوصول»:

ثم الرقى من حُمَة أو عين
فإن تكن من خالص الوحيين
فذاك من هدي النبي وشرعته
وذاك لا اختلاف في سُنّيته
أما الرقى المجهولة المعاني
فذاك وسواس من الشيطان
وفيه قد جاء الحديث أنه
شرك بلا مرية فاحذرنه
إذ كل من يقوله لا يدرى
لعله يكون محض الكفر
أو هو من سحر اليهود مقتبس
على العوام لبسوه فالتبس

ثانيا التمائم

التمائم لغة: جمع تميمة، وهي في الأصل خرزة كانت تعلق على الأطفال يتقون بها من العين ونحوها [القاموس ولسان العرب مادة: تمم].

وفي الاصطلاح: هي كل ما يُعلق على المرضى أو الأطفال أو البهائم أو غيرها من تعاويذ لدفع البلاء أو رفعه.

من أنواع التمائم

الحجب والرقى التي يكتبها بعض المشعوذين ويكتبون فيها طلاسم وكتابات لا يُفهم معناها، وغالبها شرك، واستغاثات بالشياطين، وتُعلق على الأطفال أو البهائم أو على أبواب البيوت أو على السيارات، يزعمون أنها سبب لدفع العين أو أنها سبب لشفاء المرضى من الإنسان أو الحيوان ومنها لبس الأحجبة التي يتخذها بعض الجهال لأولادهم يعتقدون أنها سبب لحفظهم من الموت، ومنها لبس حلقة الفضة للبركة، ولبس خواتم لها فصوص مُعَيَّنَة يعتقدون أنها تحفظ من الجن، ولبس أو تعليق خيوط للعلاج من بعض الأمراض، ومنها الحروز وجلود الحيوانات وغيرها مما يعلق على الأطفال أو على أبواب البيوت أو نحو ذلك والتي يزعمون أنها تدفع المرض أو العين أو الجن وأنها سبب للشفاء من الأمراض، وهذه كلها محرمة، وهي من الشرك لقول النبي ﷺ «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» [أبو داود ٣٨٨٥، وصححه الألباني].. ولقوله ﷺ «من علق تميمة فقد أشرك» [صحيح الجامع:٦٣٩٤] فهي من الشرك؛ لأنهم ظنوا أن لغير الله تأثيرًا في الشفاء، وطلبوا دفع الأذى من غيره، لكن إن اعتقد متخذها أنها تنفع بذاتها من دون الله فهي شرك أكبر، وإن اعتقد أن الله عز وجل هو النافع وحده، لكن تعلق قلبه بها لدفع الضر فهو شرك أصغر وذلك لاعتماده على الأسباب وجعل ما ليس بسبب سببًا [ينظر قرة عيون الموحدين - القول المفيد].

فهذه التمائم كلها ليس فيها نفع بأي وجه من الوجوه، وهي من خرافات الجاهلية التي يروج لها السحرة والمشعوذون ويدجلون بها على الجهلة من الناس.

حكم التمائم من القرآن

ويدخل في التمائم أن تكتب آيات من القرآن أو بعض الأذكار الشرعية (الرقى) في ورقة ثم توضع في جلد أو غيره، ثم تعلق على الأطفال أو بعض المرضى، وقد اختُلف في جواز تعليقها والراجح المنع من هذه التمائم لعدة أمور.

١- أن الأحاديث جاءت عامة في النهي عن التمائم ولم يأتِ حديث واحد في استثناء شيء منها، ويؤيد ذلك أن الصحابة الذين رووا أحاديث النهي عن التمائم كابن مسعود وعقبة بن عامر رضي الله عنهما فهموا منها عموم النهي عن جميع التمائم.

أما ما ثبت عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما من الترخيص في تعليق التمائم من الأذكار الشرعية حرزًا قبل وقوع المرض؛ فهو معارض بما ثبت عن عائشة رضي الله عنها من أن ما عُلق قبل المرض فهو من التمائم المنهي عنها، ومعارض أيضًا بما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه من قطع التميمة والتشديد في أمر التمائم مُطلقًا، وبما ثبت عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: «وضع التميمة على الإنسان والطفل شرك»، وبما ثبت عن حذيفة من قوله لرجل وجد على عضده خيطًا: «ما هذا؟» قال: خيط رقي لي فيه. فقال حذيفة رضي الله عنه «لو مت ما صليت عليك»، وبما ثبت عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقول: «تعليق التمائم شعبة من شعب الجاهلية». وبما ثبت عن سعيد بن جبير قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة» وهذا عند أهل العلم في حكم المرفوع، وبما ثبت عن إبراهيم النخعي قال: «كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن» فعموم قوله يدل على نهيه عن جميع التمائم.

٢- أن تعليق التمائم من القرآن والأدعية والأذكار المشروعة نوع من الاستعاذة والدعاء، فهي على هذا عبادة من العبادات، والأصل في العبادات التوقيف، فلا يجوز إحداث عبادة لا دليل عليها.

٣- أن ما علق من ذلك يكون عرضة للامتهان وذلك لحمله حال قضاء الحاجة أو غير ذلك، مما يحدث من عبث الأطفال بها، وفي المنع صيانة للقرآن ولذكر الله من الإهانة.

٤- في المنع سد للذريعة؛ لأنه يفضي إلى تعليق ما ليس بقرآن كتعليق التمائم الشركية كما هو الواقع عند كثير من المسلمين في العصر الحاضر.

ينظر: [شرح السنة للبغوي - فتح المجيد - معارج القبول - القول المفيد].

والحديث موصول في العدد القادم بمشيئة الله، والله من وراء القصد.

الموانع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، محمد بن عبد الله الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد بينا أن الموانع من إنفاذ الوعيد ثمانية:

ثلاثة من المذنب: وهي التوبة، والاستغفار، والحسنات الماحية.

وثلاثة من غيره من الخلق: وهي دعاء المؤمنين، وإهداء ما يمكن وصوله من ثواب الأعمال، والشفاعة في عصاة الموحّدين.

واثنان من الله تعالى: وهما المصائب المكفّرة في الدّنيا والبرزخ والآخرة، والعفو المحض بلا سبب من العباد.

وذكرنا الثلاثة الخاصة بالمذنب: وهي التوبة، والاستغفار، والحسنات الماحية، ومن الثلاثة التي من غيره من الخلق: ذكرنا دعاء المؤمنين لإخوانهم بظهر الغيب، ثم نكمل ما بدأناه فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الخامس: إهداء ما يمكن وصوله من ثواب الأعمال

وردت الأدلة في انتفاعه بالصوم فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قال: «من مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ؛ صَامَ عنه وليُّهُ» [متفق عليه]، وعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: جاء رَجُلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللَّه، إنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفَأَقْضِيه عنها؟ قال: نعم، فَدَيْنُ اللَّه أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى» [متفق عليه].

عن بُرَيْدَةَ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَتْ: وَإِنَّهَا أي أمها مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفَيُجْزِئُ أَوْ يَقْضِي عَنْهَا أَنْ أَصُومَ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». [أبو داود ٢٨٧٩ وصححه الألباني].

فائدة: الأحاديث الصحيحة دلت على أن من مات وعليه نذر أنه يُقضى عنه؛ فقد روى البخاري في صحيحه أن سعد بن عبادة الأنصاري استفتى النبي ﷺ في نذر كان على أمه؛ فتوفيت قبل أن تقضيه؟ فأفتاه أن يقضيه عنها فكانت سُنَّةً بَعْدُ. [متفق عليه].

ووردت الأدلة على انتفاعه بالصدقة

وفي صحيح مسلم عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه ﷺ إِذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّي بِجَارِيَةٍ، وَإِنَّهَا مَاتَتْ – قَالَ – فَقَالَ: «وَجَبَ أَجْرُكِ، وَرَدَّهَا عَلَيْكِ الْمِيرَاثُ».

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. [متفق عليه].

ووردت الأدلة في انتفاعه بالحج

فعن عبد اللَّهِ بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما

من إنفاذ الوعيد

الحلقة الرابعة

إعداد: / محمد رزق ساطور

قال: كان الْفَضْلُ رَدِيفَ رسول الله ﷺ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ من خثعم، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَتَنْظُرُ إليه، وَجَعَلَ النبي ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إلى الشِّقِّ الآخَرِ، فقالت: يا رَسُولَ اللَّه، إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّه على عِبَادِهِ في الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أبي شَيْخًا كَبِيرًا لا يَثْبُتُ على الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عنه؟ قال: نعم. وذلك في حَجَّةِ الْوَدَاعِ» [متفق عليه].

وعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ امْرَأَةً من جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إلى النبي ﷺ فقالت: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فلم تَحُجَّ حتى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عنها؟ قال: نعم، حُجِّي عنها، أَرَأَيْتِ لو كان على أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قاضيته؟ اقْضُوا اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ» [البخاري ١٨٥٢].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ سَمِعَ رَجُلا يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: مَنْ شُبْرُمَةُ؟ قَالَ: أَخٌ لِي أَوْ قَرَابَةٌ. قَالَ: هَلْ حَجَجْتَ قَطُّ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَاجْعَلْ هَذِهِ عَنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ احْجُجْ عَنْ شُبْرُمَةَ» [أبو داود ١٨١٣ وصححه الألباني].

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: قَوْلُهُ ﷺ (فَاجْعَلْ هَذِهِ عَنْ نَفْسِكَ) أَرَادَ بِهِ الإِعْلامَ بِنَفْيِ جَوَازِ الْحَجِّ عَنِ الْغَيْرِ إِذَا لَمْ يَحُجَّ عَنْ نَفْسِهِ، وَقَوْلُهُ: (ثُمَّ احْجُجْ عَنْ شُبْرُمَةَ) أَمْرُ إِبَاحَةٍ لا حَتْمٍ.

السادس: الشفاعة في عصاة الموحدين

الشفاعة العظمى معروفة، يُقرُّ بها كل المسلمين حتى أهل البدع كالخوارج والمعتزلة، ولكن أهل البدع ينكرون الشفاعة في عصاة الموحدين. فالعلماء قصدهم في هذا الرد على الخوارج والمعتزلة الذين أنكروا الشفاعة في العصاة، الذين قالوا: إن من دخل النار لا يخرج منها. كشفاعة الشَّهيد: ففي سنن أبي داود عن نِمْرَانَ بن عُتْبَةَ الذِّمَارِيِّ قال دَخَلْنَا على أُمِّ الدَّرْدَاءِ وَنَحْنُ أَيْتَامٌ، فقالت: أَبْشِرُوا فَإِنِّي سمعت أَبَا الدَّرْدَاءِ يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: «يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ في سَبْعِينَ من أَهْلِ بَيْتِهِ» [أبو داود ٢٥٢٤ وصححه الألباني].

والأحاديث الدالة على خروج الموحدين من النار متواترة، منها: حديث أنس بن مالك في حديث الشفاعة، وحديث أبي بكر، وحديث ابن عباس رضي الله عنهم جميعًا وأحاديث أخر كثيرة، أخرج البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال أُنَاسٌ يا رَسُولَ اللَّه، هل نَرَى رَبَّنَا يوم الْقِيَامَةِ؟ فقال: هل تُضَارُّونَ في الشَّمْسِ ليس دُونَهَا سَحَابٌ؟ قالوا: لا، يا رَسُولَ اللَّه. قال: هل تُضَارُّونَ في الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ليس دُونَهُ سَحَابٌ؟ قالوا: لا يا رَسُولَ اللَّه، قال: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يوم الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ يَجْمَعُ الله الناس، فيقول: من كان يَعْبُدُ شيئا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هذه الأُمَّةُ فيها مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمْ الله في غَيْرِ الصُّورَةِ التي يَعْرِفُونَ، فيقول: أنا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّه مِنْكَ، هذا مَكَانُنَا حتى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فإذا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمْ الله في الصُّورَةِ التي يَعْرِفُونَ، فيقول: أنا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: أنت رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ، قال رسول اللَّه ﷺ: فَأَكُونُ أَوَّلَ من يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ، وَبِهِ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قالوا: بَلَى يا رَسُولَ اللَّه، قال: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غير انها لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إلا الله، فَتَخْطَفُ الناس

بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُم الْمُوبَقُ بِعَمَلِه وَمِنْهُمْ الْمُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو حتى إذا فَرَغَ الله من الْقَضَاء بين عِبَاده، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ من النَّار من أراد أَنْ يُخْرِجَ مِمَّنْ كان يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلا الله؛ أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلاَمَةِ آثَارِ السُّجُود، وَحَرَّمَ الله على النَّار أَنْ تَأْكُلَ من ابن آدَمَ أَثَرَ السُّجُود، فَيُخْرِجُونَهُمْ قد امْتُحِشُوا فَيُصَبُّ عليهم مَاءٌ يُقَالُ له مَاءُ الْحَيَاة، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ في حَمِيلِ السَّيْل، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ على النَّارِ فيقول: يا رَبِّ قد قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَاصْرِفْ وَجْهِي عن النَّار، فلا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ، فيقول: لَعَلَّكَ إن أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ فيقول: لاَ وَعِزَّتِكَ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عن النَّار، ثُمَّ يقول بَعْدَ ذلك: يا رَبِّ قَرِّبْنِي إلى بَابِ الْجَنَّةِ فيقول: أَلَيْسَ قد زَعَمْتَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ وَيْلَكَ بن آدَمَ ما أَغْدَرَكَ، فلا يَزَالُ يَدْعُو، فيقول: لَعَلِّي إن أَعْطَيْتُكَ ذلك تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ؟ فيقول: لاَ وَعِزَّتِكَ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيُعْطِي اللَّهَ من عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ، فَيُقَرِّبُهُ إلى بَابِ الْجَنَّة، فإذا رَأَى ما فيها سَكَتَ ما شَاءَ الله أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يقول رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، ثُمَّ يقول: أو ليس قد زَعَمْتَ



أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيْلَكَ يا بن آدَمَ ما أَغْدَرَكَ! فيقول: يا رَبِّ لاَ تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فلا يَزَالُ يَدْعُو حتى يَضْحَكَ، فإذا ضَحِكَ منه أَذِنَ له بِالدُّخُول فِيهَا، فإذا دخل فيها، قِيلَ: تَمَنَّ من كَذَا، فَيَتَمَنَّى ثُمَّ يُقَالُ له تَمَنَّ من كَذَا فَيَتَمَنَّى حتى تَنْقَطِعَ بِهِ الأَمَانِيُّ، فيقول له هذا لك وَمِثْلُهُ معه. قال أبو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً. قال وأبو سَعِيد الْخُدْرِيُّ جَالِسٌ مع أبي هُرَيْرَةَ لاَ يُغَيِّرُ عليه شيئًا من حَدِيثِهِ، حتى انْتَهَى إلى قَوْلِهِ هذا لك وَمِثْلُهُ معه قال أبو سَعِيد: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول هذا لك وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ قال أبو هُرَيْرَةَ حَفِظْتُ مِثْلَهُ معه» [البخاري ٦٥٧٣].

ونظراً لأن الشفاعة تحتاج منا إلى بيان تفصيلي، نفسح لها بعد ذلك ما ييسره الله تعالى إن شاء الله تعالى وقدر، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وذريته وآل بيته وأزواجه أمهات المؤمنين، وعلى كل من تبع هديهم بإحسان إلى يوم الدين، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

تهنئة واجبة

يسر أسرة تحرير مجلة التوحيد أن تتقدم بخالص التهنئة للمهندس حسين عبد العال، بمناسبة ترقيته مديرًا عامًا ومشرفًا على مطابع الأهرام التجارية والصحفية، وعضواً لمجلس الإدارة.

كما يسر أسرة تحرير المجلة تهنئة الأستاذ سلامة شافعي لترقيته مديرًا عامًا لمطابع الأهرام التجارية، وتتمنى لهما دوام التوفيق والرقي والتقدم.

رئيس التحرير



حياة القلوب وسلامتها

إعداد/ جمال عبدالرحمن

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. أما بعد:

فإن الله تبارك وتعالى جعل لكل إنسان قلبًا، إذا سعى الإنسان في إصلاحه؛ صلح جسده وعمله، وإذا فسد القلب؛ فسد الجسد والعمل، وخسر صاحبه الدنيا والآخرة. ولذا قال الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ رضي الله عنه: مَا آمَنُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلَيَانًا». [الحاكم وصححه الألباني، انظر حديث رقم (٥١٤٧) في صحيح الجامع].

أقسام القلوب

● قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

● وقال تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

● وقال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٣، ٥٤].

من خلال عرض الآيات السابقة نرى أن قلوب العباد تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- قلب صحيح (سليم).

٢- وقلب سقيم (مريض).

٣- وقلب ميت (قاس).

فالقلب الصحيح هو السليم الذي صارت السلامة صفةً ثابتة له، قد سلم من كل شهوةٍ تخالفُ أمر الله ونهيه، ومن كل شبهةٍ تُعارض خبرَه.

فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله ﷺ، وسلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما.

بل قد خلصت عبوديته لله تعالى إرادةً ومحبةً، وتوكلاً وإنابةً، وخشيةً وإخباتًا وخوفًا ورجاءً، وخلص عمله لله، فإن أحبَّ؛ أحب في الله، وإن أبغض؛ أبغض في الله، وإن أعطى؛ أعطى لله، وإن منع؛ منع لله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسول الله ﷺ.

فهذا أزكى القلوب، وهو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به. وصدق ربنا ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

والقلب الثاني: القلب الميت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وبما يحبه ويرضاه.

بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه؛ رضي ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله حبًا وخوفًا ورجاءً، ورضًا وسخطًا، وتعظيمًا وذلاً. إنْ أحب؛ أحب لهواه.. وإن أبغض؛ أبغض لهواه.. وهواه أحب إليه وآثر عنده من رضا مولاه.

فالهوى إمامه.. والشهوة قائده.. والجهل سائقه.. والغفلة مركبه.. والسيئات تجارته.. والمعاصي بضاعته.. والمحرمات سلعته.

لا يستجيب لداعٍ ولا ناصح، ويتبع كل شيطان مريد.. من الإنس والجن، فهذا أخبث القلوب وأنجسها وأركسها: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

والقلب الثالث: قلب له حياة وبه علة، فهو السقيم المريض.

فله مادتان: تمدّه هذه مرة.. وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما؛ ففيه من محبة الله تعالى، والإيمان به، والإخلاص له، والتوكل عليه، ما هو مادة حياته ونجاته. وفيه من محبة الشهوات وإيثارها، والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر والعجب، وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة، والظلم، ما هو مادة هلاكه وعطبه.

وهو ممتحن بين داعيين:

داعٍ يدعوه إلى الله والدار الآخرة، وداعٍ يدعوه إلى العاجلة، وهو إنما يجيب أقربهما منه بابًا، وأعلاهما صوتًا، وأكثرهما حضورًا.

وهذا المريض؛ إن كان له مذكِّر؛ فهو إلى السلامة أدنى، وإن لم يكن له مذكِّر؛ فهو إلى العطب أدنى، وهو صيدٌ لمن يسبق إليه.

فالقلب الأول: حَيّ مُخْبِت واعٍ لَيِّن، والثاني: يابس ميت، والثالث: مريض.

وقد جمع الله بين هذه القلوب الثلاثة في قوله سبحانه: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٣، ٥٤].

فالقلب الصحيح السليم ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه، فهو الإدراك للحق، ثم الانقياد له والقبول.

والقلب الميت القاسي لا يقبل الحق ولا ينقاد له.

والقلب المريض إن غلبت عليه صحته؛ التحقَ بالقلب السليم، وإن غلب عليه مرضه؛ التحق بالقلب الميت القاسي. ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقر: ١٠].

وكل ما يلقيه الشيطان في الأسماع من الألفاظ.. وفي القلوب من الشُّبَه والشكوك.. فتنةٌ لهذين القلبين.. وقوةٌ للقلب الحي السليم..؛ لأنه يرد ذلك ويكرهه ويبغضه.. ويعلم أن الحق في خلافه.

ويستدل على معرفة ما في القلوب بحركة اللسان، فإن القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتُها مغارفُها.

فلسان المرء يغرف لك من قلبه: ما بين حلو وحامض.. وعذب وأجاج.. وحار وبارد.. وطيب وخبيث.. وحسن وقبيح.. وحق وباطل.. وخير وشر.

فالقلب السليم هو الذي سَلِمَ من الشرك والغلّ.. ومن الحقد والحسد.. ومن الشحّ والبخل.. ومن الكِبْر والعُلو.. ومن حب الدنيا.. وحب الرياسة.

فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، وسلم من كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله والدار الآخرة.



ولا تتم له سلامته مطلقًا حتى يسلم من خمسة أشياء:

من شرك يناقض التوحيد.. ومن بدعة تخالف السنة.. ومن

شهوة تخالف الأمر.. ومن غفلة تناقض الذكر.. ومن هوى يناقض الإخلاص.

وهذه نماذج للأسرة المسلمة من الرجال والنساء يُرى فيها القلوب السليمة والقلوب التي بها علة، حينما تتداوى من علتها، وتنفعها التذكرة، فإذا هي مبصرة تلحق بالقلب السليم الحي الذي لا توقعه في المخالفة شهوة، ولا يُعارض النصوص بهوى.

نماذج من القلوب الحية

١- أبو محجن الثقفي رضي الله عنه:

عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه قال: «أُتيَ سعدُ بن أبي وقاص رضي الله عنه بأبي محجن يوم القادسية وقد شرب الخمر، فأمر به إلى القيد، وكانت بسعد جراحةٌ فلم يخرج يومئذ إلى الناس، قال: وصعدوا به فوق العذيب لينظر إلى الناس، واستعمل على الخيل خالد بن عرفطة، فلما التقى الناس، قال أبو محجن:

كفى حزنًا أن تُضربَ الخيلُ بالقنا
وأتركَ مشدودًا عليَّ وثاقيا
إذا قُمتُ عنّاني الحديدُ وغلقت
مصارع دوني قد تصمُّ المُناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة
فقد تركوني واحدًا لا أخا ليا
ولله عهدٌ لا أخيسُ بعهده
لئن فُرجت ألاّ أزور الحوانيا
أريني سلاحي لا أبا لك إنني
أرى الحرب ما تزداد إلا تماديا

وكان مقيدًا يومئذ عند زبراء أم ولد سعد بن أبي وقاص؛ فقال لامرأة سعد: أطلقيني، ولك عهد الله عليَّ: إن سلمني الله؛ أن أرجع حتى أضع رجلي في القيد، وإن قتلت استرحتم مني، قال: فحلته (حين التقى الناس)؛ فوثب على فرس لسعد يقال لها البلقاء، ثم أخذ رمحًا، ثم خرج، فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم، وجعل الناس يقولون: هذا مَلَك؛ لما يرونه يصنع، وجعل سعد رضي الله عنه يقول: الضبر ضبر البلقاء [الضَّبْر: أن يجْمع الفَرسُ قوائمَه ويثبَ. والبَلْقاءُ: فرس سَعْد (النهاية لابن الأثير ٣ / ١٥٣)]، والطعن طعن أبي محجن، وأبو محجن في القيد!!

فلما هزم العدو، رجع أبو محجن حتى وضع رجْله في القيد، وأخبرت زوجة سعد سعدًا بما كان من أمره؛ فقال سعد: لا والله، لا أضرب بعد اليوم رجلاً أبلى الله المسلمين على يديه ما أبلاهم، فخلى سبيله، فقال أبو محجن: قد كنت أشربها إذ يُقام عليَّ الحد وأطهر منها، فأما إذ بهرجْتَني؛ فلا والله لا أشربها أبدًا [سنن البيهقي ٦ / ٥٥٠ وسنن سعيد بن منصور ١ / ٣٥٤].

ومعنى: «بهرجْتَني»: أهدرت الحد بإعفائي.

٢- زوجة فرعون:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، فكان إذا تفرقوا عنها؛ ظللتها الملائكة؛ فقالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]؛ فكُشف لها عن بيتها في الجنة». [مسند أبي يعلى ١١ / ٣١٦ وصححه الألباني في الصحيحة ٢٥٠٨].

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «خَطَّ رَسُولُ الله ﷺ أَرْبَعَ خُطُوطٍ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، مَعَ مَا قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهَا فِي الْقُرْآنِ ﴿قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: ١١] [مستدرك الحاكم ٣٨٣٦ وصححه ووافقه الذهبي].



وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ،

وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» [متفق عليه].

قال في عمدة القاري: «وقوله: (ضرب الله مثلاً..) إلى آخره: مثَّل حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تُنقص شيئًا من ثوابهم وزُلْفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله، مع كونها امرأة أعدى أعداء الله الناطق بالكلمة العظمى، وأراد بامرأة فرعون آسية بنت مزاحم؛ لما غلب موسى سحرة فرعون آمنت، فلما تبين إيمانها لفرعون، وثبتت عليه أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد، وألقاها في الشمس، وأمر بصخرة عظيمة فتلقى عليها، فلما أتوا بالصخرة قالت: رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة؛ فأبصرت بيتها في الجنة من درة بيضاء، وانتزع الله روحها، فألقيت الصخرة عليها، وليس في جسدها روح؛ فلم تجد ألمًا من عذاب فرعون.

وعن الحسن وابن كيسان: رفع الله امرأة فرعون إلى الجنة، فهي فيها تأكل وتشرب.. وآسية هي بنت مزاحم ابنة عم فرعون، وقيل: إنها من العماليق، وقيل من بني إسرائيل من سبط موسى، وقال السهيلي: هي عمة موسى، وكانت لها فراسة حين قالت: قُرة عين لي ولك. [عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣ / ٣٤٧)].

٣- أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ:

في غزوة بدر أسر المسلمون أبا العاص بن الربيع، ثم أطلقه المسلمون بشفاعة النبي ﷺ؛ لما رأى عِقْدًا لخديجة أرسلته ابنته زينب لتفتدي به زوجها من الأسر، وأمره النبي ﷺ أن يرسل إليه زينب بالمدينة ففعل، وأقام أبو العاص بن الربيع بمكة، وأقامت زينب عند رسول الله ﷺ بالمدينة حين فرق بينهما الإسلام، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجرًا إلى الشام، - وكان رجلاً مأمونًا -، بمال له، وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً؛ لقيته سرية لرسول الله ﷺ، فأصابوا ما معه، وأعجزهم هاربًا، فلما قدمت السرية بماله، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ، فاستجار بها فأجارته، وجاء في طلب ماله، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح، فكبّر الناس وراءه صرخت زينب من صُفَّة النساء: أيها الناس، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع؛ فلما سلم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس، فقال: «أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم. قال: أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أدناهم». ثم انصرف، فدخل على ابنته، فقال: «أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك، فإنك لا تَحلِّين له». وبعث رسول الله ﷺ إلى السرية الذين أصابوا المال، فقال: «إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه ماله الذي له؛ فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به»، قالوا: يا رسول الله، بل نرده عليه؛ فردُّوه، حتى إن الرجل ليأتي بالدلو، والرجل يأتي بالشنَّة، والإداوة، حتى إن أحدهم ليأتي بالشظاظ، ثم احتمل إلى مكة، فأدى إلى كل ذي مالٍ من قريش ماله، ومن لم يأخذه قالوا: كلا، فجزاك الله خيرًا، فقد وجدناك وفيًّا كريمًا، قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوُّف أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أدَّاها الله إليكم، وفرغت منها أسلمت، ثم خرج فقدم على رسول الله ﷺ. [مستدرك الحاكم ٥٠٣٨].

وفي سنن البيهقي عن عامر الشعبي وغيره، أن أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين، قيل له: هل لك أن تُسلِم وتأخذ هذه الأموال، فإنها أموال المشركين؟ فقال أبو العاص: بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي.

وبعد فهذه بعض الأمثلة لأصحاب قلوب حية عرفت ربها ولزمت سبيل المحسنين، جعلنا الله وإياكم منهم، ونسأل الله أن يحسن لنا الختام أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية

من القصص الواهية

قصة شك عائشة في نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

الحلقة ١٢٥

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي تطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه، ويجادلنا بها الرافضة، ويَدَّعون أنها في كُتب أهل السنة، ويجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، وسنبين بطلان هذه القصة الواهية، وبراءة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما.

أولاً: متن القصة

رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان متاعي فيه خِفٌّ، وكان على جمل ناجٍ، وكان متاع صفية فيه ثقلٌ، وكان على جمل ثقال بطيءٍ يتبطأ بالركب، فقال رسول الله ﷺ: «حوّلوا متاع عائشة على جمل صفية، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة، حتى يمضي بالركب، قالت عائشة: فلما رأيت ذلك قلت: يا لعباد الله، غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله ﷺ.

قالت: فقال رسول الله ﷺ: «يا أمَّ عبد الله، إن متاعك كان فيه خفٌّ، وكان متاع صفية فيه ثقل، فأبطأ بالركب، فحولنا متاعها على بعيرك، وحولنا متاعك على بعيرها».

قالت:

فقلت: ألست تزعم أنك رسول الله؟

قالت: فتبسم.

قال: أو في شك أنت يا أم عبد الله؟».

قالت: ألست تزعم أنك رسول الله؟ أفَهلاً عدلت؟

وسمعني أبو بكر وكان فيه - غَرْب - أي حِدَّة - فاقبل عليَّ فلطم وجهي.

فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا أبا بكر».

فقال: يا رسول الله، أما سمعت ما قالت؟

فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الغَيْرَى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه».

ثانياً: التخريج

هذه القصة أخرجها أبو يعلى في «مسنده» (٨ / ١٢٩) ح(٤٦٧٠) قال: حدثنا الحسن بن عمر بن شقيق بن أسماء الجرمي البصري، حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة أنها قالت: «وكان متاعي...» القصة.

ثالثاً: التحقيق

هذه القصة الواهية بها علتان:

العلة الأولى: سلمة بن الفضل.

١- قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢ / ٨٤) ت(٢٠٤٤): «سلمة بن الفضل أبو عبد الله الأبرش الرازي الأنصاري، سمع محمد بن إسحاق، عنده مناكير، مات بعد التسعين، وهّنه عليٌّ».

٢- قال الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢ / ١٥٠) ت(٦٥٠): «سلمة بن الفضل الأبرش رازيّ».

أ- حدثنا محمد بن عيسى قال: حدثنا صالح قال: سمعت علي بن المديني يقول: «ما خرجنا من الري حتى رمينا بحديث سلمة».

ب- وقال: حدثنا محمد بن أحمد، قال: حدثنا عباس، قال: سمعت يحيى يقول: «سلمة الأبرش (رازي) وكان يتشيّع.

٣- وأقر هذا التشيع الإمام الذهبي في «الميزان» (٢ / ١٩٢ / ٣٤١٠) حيث قال: «وروى عباس، عن ابن معين، قال: سلمة الأبرش رازي يتشيع».

قلت: ثم نقل الإمام الذهبي عن أبي زُرعة أنه قال: «كان أهل الري لا يرغبون فيه لسوء رأيه، وظلم فيه».

٤- قال الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١ / ٢ / ١٦٨) ت(٧٣٩) سمعت أبي يقول: «سلمة بن الفضل في حديثه إنكار، لا يُحتج به».

ثم أقر قول علي بن المديني؛ حيث قال: وسمعت أبي يقول: قال علي بن المديني: «ما خرجنا من الري حتى رمينا بحديث سلمة».

٥- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» ت(٢٤١): «سلمة بن الفضل الأبرش: أبو عبد الله: ضعيف، يروي عن ابن إسحاق المغازي».

٦- قال الإمام ابن عدي في «الكامل» (٣ / ٢٤٠) (٥٨ / ٧٩٠): «سلمة بن الفضل أبو عبد الله الأبرش الرازي الأنصاري ضعّفه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي».

ثم قال: وعنده سوى المغازي عن ابن إسحاق وغيره إفرادات وغرائب. اهـ.

٧- ولقد بيّن الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١ / ٣١٨) أن سلمة كثُر الخطأ في حديثه وفحُش، وهذا من مذهبه الفاسد في التشيع؛ حيث قال الحافظ: «سلمة بن الفضل الأبرش كثير الخطأ».

٨- ولقد بيّن الإمام العراقي في «فتح المغيث» ص(٧): «من كثر الخطأ في حديثه وفحش؛ استحق الترك وإن كان عدلاً».

قُلْتُ: وهل هناك أفحش من الخطأ برمي أم المؤمنين عائشة في إيمانها، وأنها تشك في نبوة النبي ﷺ؟! حتى قالت: «ألست تزعم أنك رسول الله؟». قلت: وهذا دليل على أن حديث القصة منكر، بل وتشك في عدالة النبي ﷺ حتى قالت للنبي ﷺ: «أفَهلاً عدلت؟».

وهذا دليل آخر على أن الخبر الذي جاءت به القصة منكر، وإن تعجب فعجبٌ قولها: إن أباها أبا بكر رضي الله عنه عندما سمع قولها من الطعن في عدالة النبي ﷺ والشك في رسالته؛ لطم وجه ابنته عائشة رضي الله عنها.

وهذا دليل ثالث على أن الخبر الذي جاءت به القصة منكر؛ لأن ضرب الوجه محرم شرعًا.

أ- فقد أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» ح(٢٦١٢) كتاب (٤٥) كتاب «البر والصلة والآداب» باب (٣٢) باب النهي عن ضرب الوجه، قال الإمام مسلم: حدثنا عبد الله بن سلمة بن قعنب حدثنا المغيرة (يعني الحزامي) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم أخاه؛ فليتجنب الوجه».

قلت: وهذا السند فيه فائدة مهمة جدًا لطالب هذا الفن؛ حيث قال الإمام الحاكم في «معرفة علوم الحديث» النوع (١٨): حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب قال: حدثنا محمد بن سليمان قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: «أصح الأسانيد كلها: مالك عن نافع عن ابن عمر، وأصلح أسانيد أبي هريرة: أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين من تطبيق هذه القاعدة على سند حديث النهي عن ضرب الوجه أن هذا السند من أصح أسانيد أبي هريرة رضي الله عنه.

ب- وأخرجه مسلم من طريق آخر قال: حدثناه عمرو الناقد وزهير بن حرب قالا: حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد بهذا الإسناد، وقال: «إذا ضرب أحدكم أخاه؛ فليتجنب الوجه».

قلت: والحديث أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٢٥٥٩). قلت: فالحديث أيضًا «متفق عليه» فهو في أعلى أقسام الصحيح كما هو مبيّن في «تدريب الراوي» (١ / ١٢٢)، فهذا الحديث يجمع بين أعلى أقسام الصحة وأصح الأسانيد في النهي عن ضرب الوجه.

قلت: والحديث أخرجه الإمام البخاري في كتابه «الأدب المفرد» (ح١٧٤)؛ حيث قال: حدثنا خالد بن مخلد قال: حدثنا سليمان بن بلال قال: حدثني محمد بن عَجلان قال: أخبرني أبي وسعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا ضَرَب أحدكم خادمه؛ فليجتنب الوجه». اهـ.

وأخرج الإمام البخاري في «الأدب المفرد» ح(١٧٥، وصححه الألباني) قال: حدثنا خالد قال: حدثنا سفيان، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه قال: «مُرَّ على النبي ﷺ بدابّة قد وُسم يدخن منخراه، قال النبي ﷺ: لعن الله من فعل هذا، لا يَسِمَنَّ أحدٌ الوجه ولا يضربه». اهـ.

قلت: وأخرج مسلم مصرحًا بسماع أبي الزبير عن جابر؛ حيث قال الإمام مسلم في «صحيحه» (٢١١٦ / ٥٥١٧): وحدثني هارون بن عبد الله حدثنا حجاج بن محمد، ح وحدثنا عبد بن حميد أخبرنا محمد بن بكر كلاهما عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه».

قلت: ولقد بوّب الإمام النووي بابًا في «صحيح مسلم» ترجمته: «باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه».

قلت: فإذا كان النبي ﷺ قد أمر باجتناب ضرب الوجه حتى مع الخادم بل ومع الدابة، فكيف بقصة واهية تجعل الصديق أبا بكر رضي الله عنه يخالف أمر النبي ﷺ ويلطم وجه ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها!! والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ويفترون على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ويجعلون سبب لطم أبي بكر رضي الله عنه لوجهها أنه سمعها وهي تطعن في عدالة النبي ﷺ وتشك في رسالته، وهذا الخبر الذي جاءت به القصة من التحقيق الذي أوردناه آنفًا رواه سلمة بن الفضل انتصارًا لمذهبه المبني على الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأبيها الصديق أبي بكر رضي الله عنه؛ لأن سلمة كان يتشيع، فكثر الخطا في حديثه وفحش، ولقد بينا آنفًا أن من كان هذا حاله استحق الترك، ولو كان عدلاً في القاعدة التي نقلناها عن الإمام العراقي، لذلك تركه شيخ البخاري الإمام علي بن المديني، وقال: «ما خرجنا من الري حتى رمينا بحديث سلمة». اهـ.

قلت: هذا قول الإمام علي بن المديني في سلمة بن الفضل، وقد عاصره وعاش معه في الرّي، وهذا ظاهر من قول الإمام علي بن المديني، وكذلك المواليد والوفيات.

فقد نقل الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٧/ ٤٥٢ / ٢٤٤٦) عن البخاري قال: «مات سلمة بن الفضل بعد التسعين ومائة، وقال محمد بن سعد: توفي سلمة بالري، وقد أتى عليه مائة وعشر سنين.

أما الإمام علي بن المديني فقد وُلد سنة إحدى وستين ومائة، ومات يوم الاثنين ليومين بقيا من شهر ذي القعدة سنة أربع وثلاثين بعد المائتين، وقد بلغ من العمر ثلاثًا وسبعين سنة.

قلت: حكم الإمام علي بن المديني على سلمة بن الفضل بالترك ورمي حديثه، حكمٌ من إمام قال فيه الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢ / ٣٩): «علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم أبو الحسن ابن المديني البصري، ثقة، ثبت، إمام، أعلم أهل عصره بالحديث وعلله، حتى قال البخاري: ما استصغرت نفسي إلا عنده، وقال فيه شيخه ابن عيينة: كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلمه مني، وقال النسائي: كأن الله خلقه للحديث». اهـ.

العلة الأخرى تدليس محمد بن إسحاق.

محمد بن إسحاق مدلس، وقد عَنْعَن ولم يصرِّح بالسماع.

١- فقد أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» المرتبة الرابعة رقم (٩) قال: «محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني صاحب المغازي

مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين، وعن شرٍّ منهم». اهـ.

٢- وفي «التهذيب» (٩ / ٣٧) قال يعقوب بن شيبة: سمعت ابن نمير يقول: «إذا حدث عن مَن سمع منه من المعروفين؛ فهو حسن الحديث، وإنما أُتي من أنه يحدِّث عن المجهولين أحاديث باطلة». اهـ.

٣- قال الإمام أحمد بن حنبل: قدم ابن إسحاق بغداد؛ فكان لا يبالي عمن يحكي، عن الكلبي وغيره. كذا في التهذيب (٩ / ٣٨) وفي تاريخ بغداد (١/ ٢٣٠). قلت: والكلبي هو محمد بن السائب الكلبي الكوفي الإخباري، قال ابن معين: الكلبي ليس بثقة، وقال الجوزجاني وغيره: كذاب، وقال الدارقطني وجماعة: تركوه. اهـ كذا في «الميزان» (٣ / ٥٥٩/ ٧٥٧٤).

٤- ثم ذكر الذهبي من وهَّاه:

أ- قال أبو داود: قدريٌّ معتزليٌّ.

ب- وقال سليمان التيمي: «كذاب».

جـ- وقال أحمد: «كثير التدليس جدًا».

د- وقال يحيى القطان: «أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب».

هـ- وروي عن حميد بن حبيب أنه رأى ابن إسحاق مجلودًا في القدر، جلده إبراهيم بن هشام الأمير.

و- وقال عبد الرحمن بن مهدي: «كان يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك يجرِّحان ابن إسحاق».

ز- وقال يحيى بن آدم: حدثنا ابن إدريس، قال: كنت عند مالك فقيل له: إن ابن إسحاق يقول: اعرضوا عليَّ عِلْمَ مالك، فإني بَيْطاره. فقال مالك: انظروا إلى دجال من الدجاجلة. اهـ.

هـ- قلت: وهذه بعض أقوال من وهَّاه وجرحه من أئمة الجرح والتعديل، وهناك البعض ممن وثقه، ولكن القاعدة عند أهل الصنعة أن «الجرح مقدَّم على التعديل»، خاصة وأن التجريح ظاهر مفسَّر في الإسناد وفي الاعتقاد، ومن أراد المزيد فلينظر إلى «تحذير الداعية» الحلقة (١٢٣).

وبهذا يتبين أن هذه القصة واهية، وأن الحديث الذي جاءت به سنده تالف، فيه سلمة بن الفضل، رماه شيخ البخاري الإمام علي بن المديني كما هو ظاهر من قوله: «ما خرجنا من الري حتى رمينا بحديث سلمة»، وفوق ذلك تدليس ابن إسحاق، فهو مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم، وتحدث عنهم بأحاديث باطلة كما بينا آنفًا.

وبهذا التحقيق يتبين براءة الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين رضي الله عنها مما افتُرِيَ عليها في هذه القصة.

وهذا البحث يحتِّم على علماء الصنعة الحديثية أن يخرِّجوا ويحقِّقوا أمثال هذه القصص الواهية، والتي تطعن في صحابة النبي ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين، خاصة وأن هذه القصص توجد في أشهر المسانيد عند أهل السنة، فمسند أبي يعلى من المسانيد المشهورة عند أهل السنة، يتبين ذلك من قول الإمام الحافظ ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» (١١ / ١٣٨): «أبو يعلى الموصلي صاحب المسند المشهور، سمع الإمام أحمد بن حنبل وطبقته وكان حافظًا، خيِّرًا، حسن التصنيف، عدلاً فيما يرويه، ضابطًا لما يحدث به».

قلت: فهو يسند بحق، ومن أسند فقد أحال، ويجب على أهل الصنعة أن يحققوا هذه الأسانيد لمثل هذه القصص الواهية التي في أشهر المسانيد عند أهل السنة، ويجادلنا بها الرافضة، ويذكرونها بالاسم والجزء والصفحة على قنوات الرافضة الفضائية، خاصة في هذه الأيام، ويقف عاجزًا عن الرد مَن لا دراية له بالصناعة الحديثية من القُصاص والوعاظ؛ حيث توهم من ذكر الجزء والصفحة أن القصة صحيحة، ولكن هيهات، ففرق بين التخريج والتحقيق، فرق لا يعلمه إلا أهل هذه الصنعة، جعلني الله خادمًا لها ما بقيت، وجعلني الله فداء أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق، والتي أخرج البخاري في «صحيحه» ح(٣٧٦٨)، ومسلم في «صحيحه» ح(٢٤٤٧) أنها قالت: قال رسول الله ﷺ يومًا: «يا عائش، هذا جبريل يقرئك السلام». فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته. ترى ما لا أرى. تريد رسول الله ﷺ. اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

من فتاوى المركز العام

الفتاوى

تجيب عليها اللجنة العلمية لجماعة أنصار السنة المحمدية

فوائد البنوك

يسأل سائل: أعمل في شركة تقوم بتحويل المرتب الشهري على البنك، ويقوم هذا البنك بإضافة أرباح على هذه النقود، فما حكم تلك الأرباح، وما موقفنا نحن العامة من اختلاف العلماء في هذه المسألة، نرجو من سيادتكم بسط الإجابة على هذا السؤال، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: هذا المال المودع في البنك يستخدمه البنك في الإقراض للعملاء بفائدة أعلى من الفائدة التي يعطيها للمودع، ويكون الفرق بين الفائدتين هو مكسب البنك ومدار عمله، وقد جاء في فتاوى الأزهر للشيخ عبد اللطيف حمزة رحمه الله، وقد سُئل عن فوائد البنوك وكيفية التصرف فيها؛ فقال: اتفق فقهاء الشريعة الإسلامية على أن الفائدة المحددة التي تعطيها البنوك على الإيداع أو الاقتراض من قبيل ربا الزيادة المحرمة شرعًا، فلا يُباح للسائل أن ينتفع بها، وله إن أخذها أن يوزعها على الفقراء والمساكين تخلُّصًا منها، ولكن لا يُثاب عليها؛ لأنها مال حرام، ومن باب أولى ألا يحتسبها من زكاة ماله؛ لأن الله سبحانه طيب لا يقبل إلا طيبًا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

دخول غير المسلمين المسجد

يسأل سائل يقول: هل يجوز لغير المسلمين أن يدخلوا المساجد؟

الجواب: الناظر إلى فعل النبي ﷺ في ذلك يرى أنه لا حرج في دخول غير المسلمين المسجد، سواء كان لسؤال أو لحاجة، أو لينال من طعام المسلمين أو ليشرب، فلا حرج في ذلك، خاصة إذا كان من وراء ذلك مصلحة شرعية، كأن يرى التراحم والتلاحم بين عباد الله الموحدين، ويرى الرحمة والمودة بينهم أو يسمع موعظة.

وقد حبس النبي ﷺ ثمامة بن أثال في المسجد، وأدخل وفد ثقيف المسجد قبل إسلامهم، وكان الناس يأتونه عليه الصلاة والسلام يسألونه وهم مشركون، ويسألونه عن حاجات لهم وهو بداخل المسجد؛ فلم يكن يمنعهم عليه الصلاة والسلام من دخول المسجد.

قضاء الفائتة في صلاة الجنازة

يسأل صالح سيف البحيري من فارسكور يقول:
أحضر أحيانًا صلاة الجنازة لكن متأخرًا، فتفوتني تكبيرة أو تكبيرتان، فماذا أصنع وكيف أتم هذه الصلاة، أم أُسلّم مع الإمام؟

الجواب: إذا دخل الرجل ليصلي الجنازة، فوجدهم سبقوه بتكبيرتين مثلاً، فإنه يدخل معهم في الصلاة، ويجعل التكبيرة الثالثة للإمام هي الأولى له، والرابعة للإمام هي الثانية له، فإذا سلم الإمام بعد التكبيرة الرابعة؛ فلا يُسلم المسبوق معه، وإنما يأتي بتكبيرتين يُتم بهما صلاته؛ لعموم قوله ﷺ: «فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا». رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة (ح ٦٣٥)، وفي رواية للإمام أحمد رحمه الله في مسنده: «وما فاتكم فاقضوا» [٧٢٥٠]، فإذا خاف هذا المسبوق رَفْعَ الجنازة؛ فإنه يوالي بين التكبيرتين الباقيتين له بدون دعاء، ثم يسلم بعد الرابعة، وإن بقيت الجنازة بحيث يمكنه الدعاء للميت؛ دعا بعد تكبيرته الثالثة، ثم يكبر الرابعة ويسلم، وقد ذكر الشافعي أنه يقول بعد التكبيرة الرابعة: «اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده»، وكان المتقدمون يقولون: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

ولم يثبت عن النبي ﷺ شيء يقال بعد التكبيرة الرابعة، فيكبر ويسكت ثم يسلم.

انتظار الإمام أثناء ركوعه ليدرك الداخل الركوع

ويسأل سؤالاً ثانيًا يقول: عندما أصلي بالناس وأنا إمام يأتي بعض الناس متأخرين، فإذا رآني راكعًا قال بعضهم: (إن الله مع الصابرين)، أو تنحنح بعضهم، فما حكم فعلهم هذا؟ وهل أنتظرهم ولو قليلاً ليدركوا الركوع معي؟

الجواب: هذه الأقوال والأفعال التي تحدث من أجل أن ينتظر الإمامُ الداخلَ إلى المسجد ليدرك الركوع؛ تُعد مما لا أصل له في الشريعة، وعلى المسلمين أن يبادروا إلى صلاتهم مبكرين، فإذا حدث تأخر فعلى المتأخر أن يلتزم السكينة والوقار وعدم التشويش على المصلين بقول أو فعل، امتثالاً لأمر النبي ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فامشوا وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا». البخاري وغيره من حديث أبي هريرة. (ح ٦٣٥).

ولا بأس إذا انتظر الإمام قليلاً بما لا يشق على المأمومين أو يخرج بالصلاة عن المعتاد، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «.. ربما قرأ بسورة يوسف أو النحل في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس». [البخاري من حديث عمرو بن ميمون].

مواريث

يسأل سائل: توفي رجل بغير ذرية، وترك زوجة و١٧ ذكرًا هم أبناء إخوته، فكيف يكون تقسيم التركة بينهم؟

الجواب: إذا مات الرجل ولم يكن له أصول ترثه، ولا فروع، وليس له وارث إلا زوجته وأبناء إخوته الذكور، ففي هذه الحالة للزوجة الربع من التركة فرضًا؛ لعدم وجود الفرع الوارث، وما بقي من التركة فلأقرب قريب ذكر من العصبة، فإذا كان هذا القريب مجموعة إخوة ذكور فتقسم بقية التركة بينهم بالسوية؛ لقول النبي ﷺ: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر». رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

صفة الكفن الشرعي

يسأل : السيد أبو هاشم المسلّمي - شبين القناطر - قليوبية - يقول :
ما هو الكفن الشرعي للرجل والمرأة، وهل الأفضل خياطة الأكفان أم لا. أرجو الإجابة، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: الرجل يكفن في ثلاثة أثواب يُبسَط بعضها فوق بعض، ويوضع الرجل عليها مستلقيًا، ثم تُردُّ أطراف الثوب الذي يلي جسد الرجل بعضها على بعض، وهكذا يكون الحال في الثوب الثاني والثالث، ويُربط الكفن بعد لفّه على الميت بأربطة لئلا يتفكك، ثم تُحل هذه الأربطة بعد وضعه في قبره، وقد «كُفِّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية (نسبة إلى سحول مدينة باليمن) من كرسف (أي من قطن) ليس فيها قميص ولا عمامة، أدرجوه فيها إدراجًا». متفق عليه.

فهذا هو الكفن للرجال أسوة بالنبي ﷺ، وإذا خُيِّط الكفن وصار له أكمام كالقميص أجزأ ذلك، ولكنه يكون خلاف السنة التي كان عليها العمل في عهد النبي ﷺ وأصحابه.

وأما كفن المرأة فيبدأ تكفينها بالإزار على العورة وما حولها (من السرة إلى الركبة)، ثم قميص مخيط على الجسد، ثم القناع على الرأس وما حوله، ثم تُلفّ بلفافتين كما حدث مع الرجل، وإن كفن كل من الرجل والمرأة؛ كل منهما بثوب واحد يستره، كفى، ولكن تحري السنة أفضل.

وإن كُفِّن الرجل في قميص وإزار ولفافة واحدة؛ جاز ذلك، وإن كُفنت المرأة في خمسة أثواب (إزار وخمار وقميص ولفافتين)، فهذا الأفضل؛ لأنه أبلغ في الستر، ويكفن الصبي في ثوب واحد إلى ثلاثة أثواب، وتكفن الصغيرة في قميص ولفافتين، والواجب في حق الجميع ثوب واحد يستر جميع بدن الميت، ورحم الله موتى المسلمين جميعًا.

تقديم الوتر على القيام بالليل

يسأل : ناصر علي إبراهيم - من التل الكبير - يقول :
إمامنا في المسجد صلى الوتر أولاً مباشرةً بعد صلاة العشاء في رمضان، وبعدها صلى قيام الليل (التراويح)، فما الحكم، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب : المشروع للمؤمن والمؤمنة في صلاة الليل أو صلاة التراويح أن يتقيد بما أوضحته السُّنة النبوية، والحذر مما يخالف السنة.

وفي سنة النبي ﷺ في قيام الليل أنه كما روت عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه كان ﷺ يصلي من الليل عشر ركعات، يسلم من كل ركعتين، ثم يوتر بواحدة. [متفق عليه].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح؛ صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى». متفق عليه.

وفي صلاة التراويح خاصة كان رسول الله ﷺ يصلي بثمان ركعات يسلم من كل ركعتين، ويوتر بثلاث، وفي شأن الوتر، فمن صلى الوتر بعد العشاء ثم بدا له أن يقوم من الليل فإنه يصلي ما شاء ولا يوتر مرة أخرى؛ لقول النبي ﷺ : «لا وتران في ليلة». رواه أحمد.

أما من عزم من بداية الليل على قيام الليل أو صلاة التراويح؛ فإنه يؤخر الوتر ليجعل الوتر آخر صلاته من الليل؛ لقول النبي ﷺ : «اجعلوا آخر صلاتكم وترًا». متفق عليه.

أما أن يعمد المرء إلى صلاة الوتر أولاً بعد العشاء، وهو يعلم أنه سيصلي التراويح بعدها؛ فهذا قد خالف السنة، وعلى المسلم تحري اتباع هدي النبي ﷺ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : «وخير الهدي هدي محمد ﷺ». [مسلم وغيره من حديث جابر رضي الله عنه]. والله تعالى أعلم.



المصلحة

ومقاصد الشريعة الإسلامية

إعداد: د/ علي أحمد السالوس

أستاذ فخري في المعاملات المالية
والاقتصاد الإسلامي بجامعة قطر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعدُ:

فمن المعلوم الذي لا شك فيه أن الشريعة الإسلامية جاءت لجلب المصالح ودفع المضار، ووجدنا من يبني على هذا قوله: إن الإيداع بفائدة مصلحة للطرفين، فالمودع يأخذ الفائدة مع ضمان حفظ ماله، والبنك لو لم يكن مستفيداً؛ لما أعطى هذه الفائدة وهذا الضمان.

وما دامت الفائدة للطرفين؛ فهذه هي المصلحة التي تتفق مع مقاصد التشريع، فكيف يذهب من ذهب إلى تحريم المنافع ومنع المصالح؟!!

ولكن غاب عن هؤلاء القائلين بالمصلحة أن يبحثوا عن حقيقة هذه المصلحة التي تُعتبر مصدراً من مصادر التشريع ومقصداً من مقاصده.

فالخمر والميسر فيهما مصلحة! واقرأ قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

أليست المصلحة متحققة هنا في قوله تعالى: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾؟ ومع هذا حُرِّمت هذه المنافع، ومُنع هذا النوع من المصالح بنص القرآن الكريم، أَلأحدٍ بعد هذا أن ينادي بحلِّ الخمر والميسر؛ لأن فيهما مصلحة ومنافع للناس؟

المصالح ثلاث

لذلك يجب أن نفرق بين ثلاثة أنواع من المصالح:

النوع الأول: المصلحة المعتبرة التي أقرها الشرع، وأخذ بها، واتفقت مع نصوصه.

ومثال هذا النوع: حلّ الزواج، وحلّ بهيمة الأنعام، والبيع، والترخيص في خرص العرايا بالتمر.. إلخ.

ومصدر التشريع هنا ليس المصلحة، وإنما هو النص الذي جاء محققًا لهذه المصلحة.

النوع الثاني: المصلحة الملغاة التي أهدرها الشرع، ولم يأخذ بها، فحرّمها أو تعارضت مع نصوصه، فليس لمسلم أن يأخذ بها أو يستحلها. مثال هذا: أن تعالج دولةٌ مشكلتها الاقتصادية بالتعامل بالربا، وبتحويل ناتج المساحات الشاسعة من الأعناب إلى خمر لتُباع بالملايين، وبالاعتماد على جذب السائحين باللهو المحرم والمجون والخمور، وغيرها من لوازم سياحة العصر!

النوع الثالث: المصلحة المرسلة التي لا يوجد نص يؤيدها، ولا نص يعارضها، وتتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية.

مثال هذا: جمع القرآن الكريم: فلا يوجد نصٌّ

يأمر ولا نصٌ ينهى، ولكن الجمع خير كما قيل، ففيه حفظٌ لكتاب الله عز وجل.

ومثاله في عصرنا: تسجيل الممتلكات، وتوثيق عقود الزواج، وغير ذلك مما فيه إثبات للحقوق.

وهذه المصلحة يمكن الأخذ بها، واعتبارها مصدراً من مصادر التشريع.

ولهذا فإننا قبل أن نحكم على عملٍ ما بأنه حلال؛ لأن فيه مصلحة؛ علينا أن نبحث عن نوع هذه المصلحة؛ فإذا كانت ودائع البنوك وشهادات الاستثمار تدخل تحت عقد القرض كما بيّنا، فكل زيادة على رأس المال هي من ربا النسيئة المحرم، فليس لأحد أن يقول بالحل؛ لأن فيها مصلحة كما يدّعي.

ولسنا في حاجة إلى مناقشة هذا الادعاء، وإنما يكفي أن نقول: هذه مصلحة أهدرها الشرع وألغاها، فليست بمعتبرة ولا مرسلة.

وأضرب هنا مثلاً يبين متى تكون المصلحة:

في حديث رافع بن خديج رضي الله عنه في المحاقلة، الذي سبق ذكره عند الحديث عن المضاربة، جاء في بعض الروايات:

«نهانا رسول الله ﷺ عن أمرٍ كان لنا نافعًا، وطواعية الله ورسوله أنفع لنا». [مسلم١٥٤٨]، وفي رواية: «عن أمر كان بنا رافقًا» [متفق عليه].

فالصحابة الكرام جرى العمل بينهم في المزارعة على جَعْل بُقعة بعينها لصاحب الأرض، وهي ما على جداول الماء، وجعل قدر محدد لأحد الشريكين، وليس نسبة شائعة مما تخرجه الأرض، واستقر أمرهم على هذا، وأصبح معروفًا مألوفًا، واعتبروه محققًا للمصلحة وميسّرًا عليهم في حياتهم.

ثم جاء بعد هذا نهي رسول الله ﷺ؛ فانتهوا.

ومما يؤخذ من هذا الحديث الشريف:

١- أن قول الصحابة الكرام لا يعني الاعتراض على حكم رسول الله ﷺ، وحاشاهم، ولكن يعني أنهم كانوا يظنون ما اعتادوه مصلحةً لهم، فلما جاءهم النهي؛ أدركوا أن المصلحة في خلاف ما هم عليه؛ لأن ما صدر إنما كان عن المعصوم ﷺ.

٢- قولهم: «طواعية الله ورسوله أنفعُ لنا»، مع أن النهي إنما صدر عن الرسول وحده، يدل على أنهم يدركون أن السُّنة بيان الله على لسان رسوله، وأنها وحي يجب اتباعه، ولذلك قال ربنا - عز وجل-: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، وكذلك الأحاديث الشريفة، وقد بينت هذا بالتفصيل في كتابي «قصة الهجوم على السنة».

٣- هذا الحديث الشريف في المعاملات، وقول الصحابة الكرام يدل على أن عصمة الرسول ﷺ ليست في تبليغ القرآن الكريم وحده، أو في بيان العبادات فقط، وإنما هي في التبليغ، وفي بيان حكم من أحكام العبادات أو المعاملات أو غيرها، لذا وجب الاتباع.

وأول طائفة ضالة رأت عدم وجوب اتباع السنة المطهرة ظهرت في القرن الثاني الهجري، وحاور أحدهم الإمام الشافعي الذي أثبت أن السنة بيانُ الله على لسان رسوله، وأنها هي الحكمة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى مع الكتاب العزيز، واقتنع الضال في القرن الثاني.

فكيف عاد الضُّلال إلى عصرنا حيث وجدنا من يقول: إن الرسول ﷺ غير معصوم في المعاملات، ولا يجب اتباعه، وإنما هو اجتهد لعصره، ونحن نجتهد لعصرنا كما اجتهد، ونحن أدرى بعصرنا!!

هكذا قال قائل في عصرنا، ونطق بهذا الضلال المبين، لينتهي إلى أن فوائد البنوك وشهادات الاستثمار، والسندات، ودفتر التوفير: حلال؛ لأن فيها مصلحة!!

٤- من العبارات المتداولة المشهورة بين الناس: «حيثما كانت المصلحة فثمَّ شرع الله»، وكثيرًا ما نرى هذه العبارة تُوضَع في غير موضعها، وتُستعمل استعمالاً خاطئًا.

فهذا لا يجوز أن يُقال إلا في المصلحة المرسلة بضوابطها الشرعية، أما إذا وُجد النص، وعُلم شرع الله؛ فطواعية الله ورسوله أنفع لنا؛ ولذلك الذي يجب أن يقال دائمًا وأبدًا: حيثما كان شرع الله فثمَّ المصلحة.

من فتاوى المجامع والأفراد

فتاوى الشيخ شلتوت

كثر الحديث عن فتاوى الشيخ شلتوت، ولقد كان - رحمه الله - ذا فكر ثاقب، ونظر دقيق، وفتاوى صائبة، وهو كغيره من البشر يُؤْخَذ



من قـولـه ويُـردّ، مـا عـدا صاحب الرسالة الخاتمة ﷺ.

ونـنظر في فتاوى الشيخ كما جاءت في كتابين من كتبه، وهما:

التفسير والفتاوى:

أولاً: فتواه في كتاب التفسير، وما فيها من اتساق:

في كتابه تفسير القرآن الكريم (ص١٣٩ وما بعدها - الطبعة الثامنة) تناول تفسير الآية الثلاثين بعد المائة من سورة آل عمران، وهي قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وعند تفسيره لهذه الآية الكريمة تحدث عن الجانب الخُلُقي، والجانب الاقتصادي في تحريم الربا.

ثم تناول شبهات العصريين في استباحة الربا، وأبطل هذه الشبهات، وبيَّن أسباب لجوء هؤلاء العصريين لمثل هذه الشبهات.

وتحت عنوان بطلان الاستدلال بالآية على إباحة الربا القليل (ص: ١٥٠) ذكر كلامًا أنقله هنا بتمامه.

قال رحمه الله تعالى: «بقي علينا أن ننبّه في هذا الشأن لأمر خطير، هو أن بعض الباحثين المولعين بتصحيح التصرفات الحديثة، وتخريجها على أساس فقهي إسلامي؛ ليُعرفوا بالتجديد وعمق التفكير؛ يحاولون أن يجدوا تخريجًا للمعاملات الربوية التي يقع التعامل بها في المصارف أو صناديق التوفير، أو السندات الحكومية، أو نحوها، ويلتمسون السبيل إلى ذلك، فمنهم من يزعم أن القرآن إنما حرَّم الربا الفاحش بدليل قوله تعالى: ﴿أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾، فهذا قيد في التحريم لا بد أن يكون له فائدة، وإلا كان الإتيان به عبثًا - تعالى الله عن ذلك -، وما فائدته في زعمهم إلا أن يؤخذ بمفهومه، وهو إباحة ما لم يكن أضعافًا مضاعفة من الربا، وهذا قول باطل، فإن الله سبحانه وتعالى أتى بقوله: ﴿أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ توبيخًا لهم على ما كانوا يفعلون، وإبرازًا لفعلهم السيئ، وتشهيرًا به، وقد جاء مثل هذا الأسلوب في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فليس الغرض أن يحرم عليهم إكراه الفتيات على البغاء في حالة إرادتهن التحصن، وأن يبيحه لهم إذا لم يردن التحصن، ولكنه يبشّع ما يفعلونه ويشهِّر به، ويقول لهم: لقد بلغ بكم الأمر أنكم تكرهون فتياتكم على البغاء وهن يردن التحصن، وهذا أفظع ما يصل إليه مولى مع مولاته.

فكذلك الأمر في آية الربا، يقول الله لهم: لقد بلغ بكم الأمر في استحلال أكل الربا أنكم تأكلونه أضعافًا مضاعفة، فلا تفعلوا ذلك، وقد جاء النهي في غير هذه المواضع مطلقًا صريحًا، ووعد الله بمحق الربا قلّ أو كثُر، ولعن آكله وموكله، وكاتبه وشاهديه، كما جاء في الآثار، وآذن من لم يدعه بحرب الله وحرب رسوله، واعتبره من الظلم الممقوت، وكل ذلك فيه الربا على الإطلاق دون تقييد بقليل أو كثير.

ومنهم من يميل إلى اعتباره ضرورة من الضرورات بالنسبة للأمة، ويقول: ما دام صلاح الأمة في الناحية الاقتصادية متوقفًا على أن نتعامل بالربا، وإلا اضطربت أحوالها بين الأمم؛ فقد دخلت بذلك في قاعدة الضرورات تبيح المحظورات.

وهذا أيضًا مغالطة، فقد بينا أن صلاح الأمة لا يتوقف على هذا التعامل، وأن الأمر فيه إنما هو وَهْم من الأوهام، وضعف أمام النظم التي يسير عليها الغالبون الأقوياء».

ومما قاله تحت عنوان إباحة الحرام جراة على الله (ص١٥١): «وخلاصة القول: إن كل محاولة يُراد بها إباحة ما حرمه الله، أو تبرير ارتكابه بأي نوع من أنواع التبرير، بدافع المجاراة للأوضاع الحديثة أو الغربية، والانخلاع عن الشخصية الإسلامية، إنما هي جراة على الله، وقول عليه بغير علم، وضعف في الدين، وتزلزل في اليقين». اهـ.

وكلام الشيخ هنا واضح كل الوضوح في تحريم المعاملات الربوية التي يقع التعامل بها في المصارف، وهو يتفق مع الفتاوى الجماعية التي صدرت بعد ذلك.

وذكره للسندات الحكومية يدل على أنه يرفض ما زعمه الزاعمون من أنه لا ربا بين الدولة وأبنائها، وقد أثبت - فيما سبق - بطلان هذا الزعم.

وتتفق إشارته إلى السندات هنا مع فتواه عن السندات التي ذكرها في كتابه الفتاوى. وتحريمه لربا صناديق التوفير يتلاءم مع تحريمه لغيره من المعاملات الربوية.

واتساق الفتوى هنا يظهر في تحريم ربا القروض بصفة عامة، وذكر ثلاث صور منها؛ وهي فوائد المصارف، ودفتر التوفير، والسندات الحكومية، وقال: أو نحوها، فعمّم الحكم.

ثانيًا: التناقض بين فتويين في كتابه الفتاوى:

في كتابه الفتاوى أحل فوائد دفتر توفير البريد، وحرَّم فوائد السندات، وتحليله لفوائد دفتر التوفير التي حرمها في كتاب التفسير؛ جعل بعض الباحثين ينظر إلى السابق واللاحق من كتابيه ليرى عن أي الرأيين رجع، وبعضهم ذكر أنه رجع بالفعل عن الحلِّ، وآخرون ذكروا أنه لم يرجع.

ولست في حاجة إلى الخوض فيما خاضوا، ولكني أقول بأنه رحمه الله وقع في تناقض؛ فأحل فوائد قرضٍ، وحرَّم فوائد قرض آخر.

وهذه الفائدة من ربا الديون المحرم بالكتاب والسنة، فاي فرق هنا بين فائدة وأخرى؟

والتحليل هنا يتعارض مع فتواه المتسقة التي عمَّت فوائد جميع صور القروض، وأي باحث أمين يسير مع الحق لا الهوى والتشهي، وينقل للمسلمين رأي الإمام، بغير تضليل أو تدليس؛ لا بد أن يذكر الفتاوى مجتمعة ويبين التعارض، ثم يرجّح كيف يشاء في ضوء الأدلة.

ولكن الأمر العجيب الغريب أن نجد من يُحِل فوائد البنوك، أو شهادات الاستثمار، ويؤيد رأيه بفتوى للشيخ شلتوت، مع أن الإمام حرَّم فوائد البنوك، ولم يُذْكَر له رأيٌ معارض، وحرَّم فوائد السندات الحكومية، ثم أكد هذا التحريم. وشهادات الاستثمار إذا اعتبرناها وديعة بفائدة لدى البنك الأهلي، فتحريمها يأتي من قوله بتحريم فوائد ودائع البنوك، وإذا كان البنك الأهلي لم يأخذ أموال هذه الشهادات ليضمها إلى الأموال المودَعة لديه، ثم يقوم بإقراضها بالفائدة الربوية لطالبي القروض كما رأينا من طبيعة عمل البنوك، وإنما أخذ هذه الأموال لحساب الحكومة، وهي التي تنفقها في مشروعاتها واستثماراتها، الحلال منها والحرام، وتلتزم بردِّها مع فوائدها المعلومة؛ فإن الشهادات في هذه الحالة تُعتبر نوعًا من السندات الحكومية التي أكَّد الشيخ شلتوت تحريمها، فشهادات الاستثمار إذن في كلتا الحالتين تُعتبر من الحرام البيِّن، كما أثبت وبيَّن وأفتى الأستاذ الإمام الشيخ شلتوت رحمه الله.

ولكن الذين أرادوا أن يُحِلوا هذا الحرام البيِّن؛ سلكوا مسلكًا يتنافى مع الأمانة العلمية؛ حيث لم يذكروا من الفتاوى إلا فتوى تحليل فوائد دفتر توفير البريد، ثم انتقلوا من ذِكْرها إلى أنها تدل على أنه - رحمه الله - يُحِل فوائد البنوك، وشهادات الاستثمار!! هكذا انتهى هؤلاء!!

وهنا أمر مهم عرفته، وأريد أن يعرفه المسلمون:

فقد سألتُ فضيلة الشيخ سيد سابق - رحمه الله - عن سبب هذا التناقض؟ فقال: إن فتوى التحليل صدرت بعد أن أفهموا فضيلة الإمام أن هيئة توفير البريد تستثمر هذه الأموال، وتأخذ جزءًا من الأرباح، وتعطي المودعين الجزء الآخر.

ثم قال: وبعد هذا سألتُ الدكتور عيسى عبده - رحمه الله - فذكر أن هيئة البريد تودع الأموال في البنوك، وتأخذ فوائدها، ولا تقوم بأي استثمار.

ثم أضاف الشيخ سيد سابق: وما الفرق بين أخذ الفوائد الربوية من البنوك مباشرة، وبين أخذ جزء منها عن طريق هيئة البريد؟

ثم حدثني فضيلة الشيخ صلاح أبو إسماعيل رحمه الله بأن فضيلة الأستاذ الإمام محمد أبو زهرة - رحمه الله - ذكر في ندوة لواء الإسلام أنه التقى بالشيخ شلتوت، وناقشه في فتوى التحليل، واقتنع بتحريم فوائد دفتر توفير البريد، ورأى حذفها من كتابه، فعارضه قائلاً: لا، بل تبقى الفتوى، ويثبت تراجعك عنها، فمن قرأ الفتوى قرأ التراجع. واتفق الشيخان على هذا.

وذكر الشيخ أبو زهرة هذا الموضوع أكثر من مرة في لجنة الفقه بمجمع البحوث الإسلامية التي كان يرأسها، وكان الأمين آنذاك الشيخ صلاح أبو إسماعيل.

هذان شاهدان من علماء الأزهر الشريف رحمهما الله تعالى، وستأتي شهادات آخرين من الثقات الأثبات؛ وإن كانت شهاداتهم لا تتفق مع ما يريده المجترئون على الفتيا! نسأل الله تعالى لهم ولنا جميعًا الهداية والمغفرة.

﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾

[آل عمران: ٨].

والحمد لله رب العالمين.

قواعد وأصول لطلاب العلم الشرعي

إعداد/ أبو بكر الحنبلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد فإن طلاب العلم لا يستغنون عن الأصول والقواعد، ولم لا، وقد قال السلف: من حُرِم الأصول حُرِمِ الوصول، ومن أهم الأصول والقواعد التي ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بها وينطلق منها:

القاعدة الأولى: (وجوب اعتبار فهم سلف الأمة)

إن هناك فرقًا ضلت في هذه الأمة، هذه الفرَق إن سألت أي فرقة منها عن أي شيء أنتم؟ يقولون بقوة وبصوت جهوري: نحن على الكتاب والسنة، ويأتي بالأدلة ويفسرها على هواه.

إذن ما هو الفارق بيننا وبين هذه الفرق الضالة؟

كما أنهم يقولون: نحن على الكتاب والسنة نحن أيضًا نقول: إننا على الكتاب والسنة.

دلالة الكتاب والسنة: قال الله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢].

أطيعوا الله:- أي الكتاب، وأطيعوا الرسول: أي السنة.

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال النبي ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنتي»[الدارقطني ١٤٩ والبيهقي ٢٠٨٣٤ وصححه الألباني].

إذًا، الكل يدعي أنه يتبع الكتاب والسنة، فما الفارق بيننا وبين غيرنا؟ الفارق هو القيد، والقيد هو فهم السلف.

الدليل من القرآن: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

موطن الدلالة (سبيل المؤمنين) أي فهم سلف الأمة، أي طريق الصحابة الكرام، وعلى رأسهم صديق الأمة الأكبر أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وفاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأبو الحسنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، هذا هو الدليل من القرآن.

أما الدليل من السنة؛ فهو حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور..» [أبو داود ٤٦٠٩ والترمذي وصححه الألباني].

موطن الدلالة: (وسنة الخلفاء الراشدين) ففي حديث الفرَق الذي قال فيه النبي ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتي وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة. قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: مثل ما أنا عليه وأصحابي» [أحمد وابن ماجه والطبراني والحاكم وصححه وغيرهم، وصححه الألباني].

موطن الدلالة: (مثل ما أنا عليه وأصحابي).

ذكرت آية كريمة وحديثين صحيحين يتبين منها فهم السلف، وهذا هو القيد الذي يضبط الفهم عندك، وهو الفارق بيننا وبين الفرَق التي أشرت إليها آنفًا.

إذًا نحن نفهم الكتاب والسنة ليس بفهمنا ولا بأهوائنا، ولكن نفهم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

القاعدة الثانية: (الكلمات الخمس للأئمة الأربعة)

وقد جاء عنهم خمس كلمات:

الكلمة الأولى: كلمة الإمام أبي حنيفة رحمه الله؛ حيث قال: «لا يحل لأحدٍ أن يأخذ بقولنا؛ ما لم يعلم من أين أخذناه». [ابن عبد البر في «الانتقاء في

فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» (ص ١٤٥)].

الكلمة الثانية: كلمة الإمام مالك إمام دار الهجرة رحمه الله؛ حيث قال: «كلّ كلام يُؤخذ منه ويُرد؛ إلا صاحب هذا القبر، وأشار إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام». [أورده السخاوي في المقاصد الحسنة ١/٥١٣ برقم ٨١٥].

الكلمة الثالثة: كلمة الإمام الشافعي رحمه الله؛ حيث قال: «إن صح الحديث فهو مذهبي». [أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠/٣٥].

الكلمة الرابعة: كلمة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله؛ حيث قال: «لا تقلدني، ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي». [أورده ابن القيم في إعلام الموقعين (٢/٣٠٢)].

الكلمة الخامسة: قالوا جميعًا: «خذوا كلامنا، واعرضوه على الكتاب والسنة؛ فإن وجدتموه موافقًا؛ فخذوا به، وإن وجدتموه غير موافق؛ فاضربوا به عرض الحائط».

مع إقرارنا أن هؤلاء أئمة كبار جبال، شهدت الأمة لهم بالعلم والتقى، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يجمع الله أمتي على الضلالة أبدًا» [الحاكم في المستدرك (١/٢٠٠) وصححه الألباني].

القاعدة الثالثة (أسباب اختلاف الأئمة)

الصحابة قبل الأئمة اختلفوا في بعض المسائل مثل ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم اختلفوا في قول الله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣]، فقال ابن عباس: أي جامعتم النساء، بينما قال ابن مسعود: إن المراد بالملامسة ما دون الجماع، أي مسستم بشرتهن ببشرتكم، وهذان جبلان عظيمان من جبال العلم في عهد الصحابة؛ وإذا كان الخلاف وُجِدَ بين الصحابة، فمن باب أولى أن يوجد بين أئمة الهدى من بعدهم كأبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل وغيرهم رحمهم الله تعالى.

إذًا كيف نتج هذا الخلاف؟ والجواب لأسباب عديدة منها:

١- ربما أن هناك دليلاً وصل إمامًا، ولم يصل إلى الإمام الآخر.

٢- ربما صح الدليل عند إمام، ولم يصح عند الآخر.

٣- اختلاف فهم النص، كخلاف ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما الآنف الذكر، وأيضًا قول النبي ﷺ: «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة» [البخاري ٩٤٦]؛ فهناك من الصحابة من أخذ بظاهر النص، ولم يصلِّ العصر إلا في بني قريظة، وهناك من قال: إن النبي ﷺ أراد أن يحفّزنا على الإسراع في السير، فلما أذّن للعصر؛ صلى على الفور، إذًا النص واحد، ولكن لكل منهما فهم لهذا النص.

هذه القاعدة الثالثة: أن يسعنا ما وسع السلف الصالح، ولا يسعنا ما لا يسعهم.

القاعدة الرابعة: (الأصول العشرة لعموم الأمة)

أولاً التوحيد

قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] فالأول العلم، واستغفر أي العمل، ومن هنا بوَّب الإمام البخاري بابًا تحت عنوان (باب العلم قبل القول والعمل)، وكلكم تعلمون أن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب وخلق الجنة والنار، وقسَّم الناس إلى شقي وسعيد، بسبب توحيده جل وعلا، وأنتم تعلمون أن الإنسان لو بنى كل يوم مسجدًا، وقام الليل كله، وصام التطوع وهو ليس موحدًا؛ رُدَّ عمله عليه، وهذا انطلاقًا من قول ربنا: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ثانيا: الاتباع أي اتباع النبي ﷺ

قال الله تعالى في آية الاختبار: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وهذا الاتباع لا يتحقق إلا بستة أوصاف: هي: السبب، والجنس، والزمان، والمكان، والقدر، والكيفية.

وهذا الاتباع يكون بأشياء منها:

تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع، واتباعه في السيرة والسريرة والصورة، وأن يُحَب أكثر من النفس والولد والوالد والمال والأهل والناس أجمعين، وأن نكثر من الصلاة والسلام عليه ﷺ، وأن نعتقد أنه عبدٌ لا يُعبَد، ورسول لا يكذب، وأن جسده مات وبقيت شريعته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو حيٌ في قبره حياة برزخية لا يعلم كُنْهَهَا (حقيقتها) إلا الله سبحانه وتعالى، وأن نعتقد أنه شفيع الموحدين في يوم لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأنه خاتم النبيين وإمام المرسلين.

ثالثًا: التزكية أي تزكية النفس

لأن كثيرًا منا- معاشر طلاب العلم- قد يحفظ القرآن والكتب الستة، وليس عنده ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، ولكن عنده ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، ليس عنده ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾، فكيف تُزكى النفس؟ تزكي بالتوحيد والاتباع، فقضية الاهتمام بتزكية النفس أمر في غاية الأهمية، ومن تزكية النفس أيضًا المحافظة على تكبيرة الإحرام في الصلوات الخمس، والمحافظة على السنن الراتبة القبلية والبعدية، وأذكار الصباح والمساء، والورد القرآني، وغضّ البصر، وصلة الرحم.

رابعًا: طلب العلم الشرعي

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ». [مسلم ٨١٧].

□□ على يد من يطلب العلم؟ □□

يُطلَب العلم على يد العلماء الربانيين. والربانيون هم الذين التزموا بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة في المعتقد والقول والعمل، والمنهج والسلوك والواقع الحي، ويربون الناس على صغار العلم قبل كباره.

وليس العالم من ينفك عمله عن علمه؛ تجده يحفظ من العلم الكثير، ولكنه لا يعمل بعلمه، ولكن هناك من يحفظ ويعمل بعلمه في حركته وسكنته، ومن أمثال هؤلاء الأئمة الأربعة: أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل تنتشر مناهجهم في الدنيا كلها، يعرفهم القاصي والداني، ولماذا صاروا أئمة هدىً؟ لأنهم كانوا ربانيين، وكذا من المعاصرين ابن باز والألباني وابن عثيمين، وكذلك الشيخ صفوت نور الدين؛ لأنهم كانوا ربانيين. إذًا العلم لا يُطلب إلا على يد الربانيين.

□□ خامسًا: العمل به □□

أي العمل بالعلم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

وقال النبي ﷺ: «يا فاطمة بنت رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا» [مسلم ٢٠٦].

إذًا لا بد من العمل بالعلم؛ لأن ثمرة العلم العمل، فلا بد أن يظهر العلم على جوارحك، ويظهر في تعاملك مع زوجتك وأولادك في البيت، وفي مصنعك وشركتك وجامعتك ومدرستك ودكانك وحقلك، وفي سيرك بين الناس.

□□ سادسًا: تبليغه □□

أي تبليغ العلم. أي الدعوة إلى الله، قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال النبي ﷺ فيما صح عنه: «بلِّغوا عني ولو آية» [البخاري ٣٤٦١].

بلغوا: تكليف. عني: تشريف. ولو آية: تخفيف.

وقال النبي ﷺ: «نضَّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع» [مسند البزار ٢/٦ وصححه الألباني].

ولا بد أن يكون التبليغ على بصيرة؛ لقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]. على بصيرة فيما يلي:

أ- على علم وبصيرة بما أقول.

ب- على بصيرة بحال المدعو.

جـ- على بصيرة بكيفية الدعوة.

□□ سابعًا الصبر على تبعات الدعوة □□

قال الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]. وقال تعالى إخبارًا عن لقمان الحكيم: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]. فبعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد من الأذى؛ لأنك حتمًا ستُبتلى في أهلك أو أقاربك أو أقرانك ومن حولك، وفي سيرك بين الناس تسمع ما لا يرضيك مثل [خدنا على جناحك- ادعي لنا يا مولانا] وغير ذلك من الكلام الذي يُقال على سبيل الاستهزاء، ويتفاوت ابتلاء المرء على قدر إيمانه، وقد يكون الابتلاء بالكلمة، وقد يكون بالفعل، وكلما اشتد الدين؛ اشتد البلاء، وقد قال رسول الله ﷺ فيما صح عنه: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» [الترمذي ٢٣٩٨ وصححه الألباني].

□□ ثامنًا أن يكون هذا كله بالإخلاص لله تعالى □□

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال النبي ﷺ فيما يرويه عن رب العزة «أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» [مسلم ٢٩٨٥].

فالإنسان دائمًا يسأل نفسه لماذا عملت هذا العمل؟

لماذا تخطب؟

لماذا تحاضر؟

لماذا تكلمت؟

لماذا سكت؟

لماذا تطلب العلم؟

في كل حركة وسكنة يسأل الإنسان نفسه سؤالين: لم وكيف؟

لم للإخلاص، وكيف للاتباع، أي لم عملت هذا العمل؟ هل كان من أجل الله؟ وكيفية العمل هل كانت على هدي رسول الله؟

□□ تاسعًا التصفية □□

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ» [البيهقي ١٠/٢٠٩ وصححه الألباني].

□□ عاشرًا التربية □□

أي أن يربي العبد نفسه وأولاده ومن يعولهم على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» [متفق عليه].

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



فضل المشي إلى المساجد وعمارتها

إعداد/ عبدالعزيز مصطفى الشامي

الحمد لله رب العالمين، سبحانه وتعالى له الحمد الحسن والثناء الجميل، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين، ثم أما بعد:

فإن المساجد بيوت الله في الأرض، خير البقاع وأزكاها، وأطيب الأماكن وأفضلها، مهوى أفئدة الصالحين، وبها تتعلق قلوب المؤمنين، على أبوابها تقف الفتن، يحرص المسلم العاقل على بنائها إن استطاع، وعلى عمارتها وتنظيفها وتطييبها، فهي أعز عليه من بيته، وقد رتَّب الشرع الشريف على ذلك كله أجورًا عظيمة.

ولما اعتاض كثير من الناس عن المساجد وإتيانها ولزموا الشاشات، وعكفوا على المباريات وغاصوا في بحار الدراما، وغاب كثير من الناس طلاب العلم وغيرهم عن المساجد ولزوم حلق الذكر ومصاحبة العلماء بها، وانشغلوا عن عمارتها، بل وظهر رفع الصوت فيها، وحاول البعض إخراجها عما بُنيت له، كانت هذه الكلمات تذكيرًا لنفسي وإخواني، والله أسأل أن يوفق القارئ والكاتب لما يحب ويرضى.

فضل تعلق القلب بالمساجد

في الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّه يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّه تَعَالَى، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ كَانَ قَلْبُهُ مُعَلَّقًا بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ..» [متفق عليه].

فهذا العبد لما آثر طاعة الله تعالى، وغلب عليه حبه، صار قلبه معلقًا بالمساجد، ملتفتًا إليها يحبها ويألفها؛ لأنه يجد فيها حلاوة القربة، ولذة العبادة، وأُنس الطاعة، ينشرح فيها صدره، وتطيب نفسه، وتقر عينه. فهو لا يحب الخروج منها، وإذا خرج تعلق بها حتى يعود إليها.

وهذا إنما يحصل لمن ملك نفسه وقادها إلى طاعة الله جلَّ وعلا فانقادت له. فلا يقصر نفسه على محبة بقاع العبادة إلا من خالف هواه، وقدم عليه محبة مولاه، جل في علاه. أما من غلبته نفسه الأمارة بالسوء فقلبه معلَقٌ بالجلوس في الطرقات، والمشي في الأسواق، محبٌ لمواضع اللهو واللعب، وأماكن التجارة واكتساب الأموال.

عن أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه- ﷺ - قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِه مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلاَة مَكْتُوبَة؛ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى لاَ يُنْصِبُهُ إِلاَّ إِيَّاهُ؛ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ، وَصَلاَةٌ عَلَى أَثَرِ صَلاَة لاَ لَغْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ». [أبو داود ٥٥٨ وحسنه الألباني].

فلينظر المحب لعظم الأجر المعَد له عند خروجه من بيته متطهرًا ليؤدي فريضة من فرائض الله مخلصًا لا يخرج رياء ولا سمعة، بل يؤديها خالصة من قلبه متوجهًا إلى ربه وحده راغبًا فيما عنده، فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى سُنة الضحى يعود بأجر المعتمر، فما بال كثير منا يزهد في أجر كهذا؟!!

ويزاد هذا الأجر يوم الجمعة، فعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَة، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، فَدَنَا مِنْ الإِمَامِ، وَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ؛ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَة أَجْرُ سَنَة صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا». [أحمد ١٦٩٦٢ والترمذي ٤٩٦ وابن ماجه ١٠٨٧ وصححه الألباني].

هذا الأجر العظيم أجر سنة لك أيها المسكين؛ تحصل على أجر صيام ٣٥٤ يومًا، وقيام ٣٥٤ ليلة، بماذا؟ بالاغتسال قبل الغدو إلى



المساجد والتبكير إلى المساجد والاستماع والإنصات، وصلاة ما كتب الله لك، فلماذا لا يحرص العبد على العمل الصالح، فلعل الفوز يحصل بخطوة إلى المسجد، ولعل الحسنات ترجح بحسنة، والعبد منا لا يدري بأي عمل يدخل الجنة بعد عفو الله ورحمته، فما ثم إلا العمل الصالح وأبوابه كثيرة ويسيرة لمن يسر الله له.

الجوار الكريم

ورد عن النبي ﷺ وعن أصحابه الكرام أحاديث وآثار كثيرة في الحض على لزوم المساجد، وإتيانها، والأجر العظيم في ذلك ومنها:

أن النبي ﷺ قال: «إن الله لينادي يوم القيامة: أين جيراني، أين جيراني؟ فتقول الملائكة: ربنا! ومن ينبغي أن يجاورك؟ فيقول: أين عمار المساجد؟» [أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠ / ٢١٣ وصححه الألباني في الصحيحة ٢٧٢٨].

أحب البقاع إلى الله

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها» [مسلم ٦٧١].

فضل صلاة الجماعة

وعن عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود رضي الله عنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا؛ فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ، فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثم، وَيَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَرَفَعَهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ نِفَاقُهُ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ». [مسلم ٦٥٤].

في الأحاديث الثلاثة السابقة فضل المجاورة ولزوم المساجد، وأن ذلك من شعار الصالحين، ويورث صاحبه مقامًا عظيمًا عند الله تبارك وتعالى، وفي التخلف عن المساجد ومن ثَم إضاعة الصلوات أو تأخيرها شؤم في النفس، وضيق في الرزق، وجهدًا في البدن، وعسرًا في الخلق، والعكس بالعكس والجزاء من جنس العمل.

فضل عمارة المساجد

قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٦-٣٨].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبيِّ قال: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده».

فضل التبكير إلى الصلاة

كم في المبادرة والتبكير إلى صلاة الجماعة في المسجد من الأجر العظيم!! فمن ذلك:

١- أن الجالس قبل الصلاة في المسجد، انتظارًا لتلك الصلاة؛ هو في صلاة- أي له ثوابها- ما دامت الصلاة تحبسه. فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه لما أخَّر صلاة العشاء الآخرة، ثم خرج فصلى بهم، قال لهم: «إنكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة». [متفق عليه].

٢- أن الملائكة تدعو له ما دام في انتظار الصلاة، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله قال: «الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه ما لم يحدث: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه». [متفق عليه].

كما أن في جلوس المرء في المسجد بعد الصلاة انتظارًا لصلاة أخرى فضلاً عظيمًا وأجرًا كبيرًا، فمن ذلك:

١- أنه في صلاة لما سبق في الحديث: «لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة». [متفق عليه].

٢- وهو نوع رباط في سبيل الله فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- ﷺ- قَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ». [مسلم ٢٥١].

٣- أن تصلي عليه الملائكة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله- ﷺ- قال: «مُنْتَظِرُ الصَّلاة مِنْ بعد الصلاة كفارس اشتدَّ به فرسه في سبيل الله على كَشْحه؛ تُصلِّي عليه ملائكة الله ما لم يُحدث أو يقوم، وهو في الرِّبَاط الأكبر». [أحمد ٨٦٢٥ وحسنه الألباني قائلاً: رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وإسناد أحمد صالح].

٤- أنه سبب لتكفير السيئات ورفع الدرجات ففي الحديث: «الكفارات: مشي الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء في المكروهات». [الترمذي ٣٢٣٥ وصححه الألباني].

وعَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ رحمه الله قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، وَقَدْ صَلَّى الْفَجْرَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَجْلِسِ، فَقُلْتُ: لَوْ قُمْتَ إِلَى فِرَاشِكَ كَانَ أَوْطَأَ لَكَ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ، ثُمَّ جَلَسَ فِي مُصَلاَّهُ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ، وَصَلاَتُهُمْ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ...»[أحمد ١٢٥١ وقال محقق المسند: حسن لغيره].

قال ابن رجب: «وإنما كان ملازمة المسجد مكفرًا للذنوب؛ لأن فيه مجاهدة النفس، وكفًا لها عن أهوائها؛ فإنها تميل إلى الانتشار في الأرض لابتغاء الكسب، أو لمجالسة الناس ومحادثتهم، أو للتنزه في الدور الأنيقة

والمساكن الحسنة ومواطن النُّزَه ونحو ذلك، فمن حبس نفسه في المساجد على الطاعة؛ فهو مرابط لها في سبيل الله، مخالف لهواها، وذلك من أفضل أنواع الصبر والجهاد.

الحذر من إيثار الدنيا والركون إليها

إننا نرى الكثيرين ممن يتكاسلون عن الأعمال الصالحة، وينشطون في طلب الدنيا، ويتوسعون في إعطاء نفوسهم ما تشتهي.

إن علاقة كثير من الناس بالمساجد وحضور الجمعة والجماعة شاهد على ذلك، فنرى الكثيرين يسكنون بجوار المساجد، ولا يدخلونها، ولا يعرفون فيها، يجاورون المساجد ببيوتهم ويبعدون عنها بقلوبهم، وذلك دليل على ضعف الإيمان في قلوبهم؛ لأن عمارة المساجد بالصلاة والعبادة والتردد إليها من أجل ذلك علامة الإيمان. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

ترى هؤلاء يملئون الأسواق ويأكلون الأرزاق، ولا يتجهون إلى المساجد ولا يشاركون المسلمين في إقامة شعائر الدين ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة:١٩]. حرموا أنفسهم أجر المشي إلى المساجد، وما فيه من الحسنات، وتكفير السيئات وبقيت أوزارهم على ظهورهم.

والبعض الآخر من الناس- وهم كثير- يأتون إلى المساجد في فتور وكسل، ويمضون فيها قليلاً من الوقت على مضض وملل؛ فالكثير منهم إذا سمع الإقامة جاء مسرعًا ثائر النفس ودخل في الصلاة وهو مشوش الفكر، لم يراع أدب الدخول إلى المسجد، ولم يعمل بسنة الرسول حيث يقول: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا وعليكم السكينة؛ فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» [متفق عليه].

إن التأخر في الحضور إلى الصلاة كما أنه يفوّت أجورًا كثيرة فهو أيضًا يفتح باب التهاون بالصلاة ويجر في النهاية إلى ترك صلاة الجماعة، فعن أبي سعيد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ رأى في أصحابه تأخرًا، فقال لهم: «تقدموا؛ فأتموا بي، وليأتم بكم من بعدكم، ولا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله». [مسلم ٤٣٨].

فدل هذا على خطورة التأخر عن الحضور إلى الصلاة، وأن المتأخر يعاقب بأن يؤخره الله عن رحمته وعظيم فضله. ويكفي في التنفير عن التأخير أن فيه تشبهًا بالمنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى﴾ [التوبة:٥٤] وقال فيهم: ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى﴾ [النساء:١٤٢]. لقد أصبحت المساجد اليوم مهجورة مغلقة غالب الوقت لا تُفتح إلا بضع دقائق وبقدر أداء الصلاة على عجل. وصارت المساجد تشكو من قلة المرتادين لها والجالسين فيها لذكر الله.

لقد كانت المساجد فيما مضى بيوتًا للعبادة ومدارس العلم وملتقى المسلمين ومنطلقهم، فيها يتعارفون ويتآلفون، ومنها يستمدون الزاد الأخروي ونور الإيمان وقوة اليقين، بها تعلقت قلوبهم وإليها تهوي أفئدتهم، هي أحب إليهم من بيوتهم وأموالهم، فلا يملون الجلوس فيها وإن طالت مدته، ولا يسأمون التردد عليها وإن بعدت مسافته، يحتسبون خطاهم إليها ويستثمرون وقتهم فيها فيتسابقون في التبكير إليها.

فظهر الجفاء وتناكرت القلوب وتفككت الروابط حتى صار الجار لا يعرف جاره ولا يدري عن حاله.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صَلاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إِلاَّ الصَّلاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً؛ إِلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلْ الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ وَلا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ» [البخاري ٦٤٧].

وعن بريدة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «بشر المشائين في الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» [أبو داود ٥٦١ وصححه الألباني].

إلى من غاب عن المسجد

إلى من غاب عن ساحة الصالحين، أما علمت أن ربك العظيم الغني الحميد يستزيرك، فهل تعرض عن زيارته، ألا تسمع مناديه كل يوم وليلة خمس مرات أن: (حي على الصلاة- حي على الفلاح)؟!

ألم يقل النبي ﷺ لبلال رضي الله عنه: «يَا بِلَالُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ؛ أَرِحْنَا بِهَا» [أبو داود ٤٩٨٧ وصححه الألباني].

أما سمعت حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنَ اتِّبَاعِهِ عُذْرٌ». قَالُوا: وَمَا الْعُذْرُ؟ قَالَ خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ: «لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّى» [أبو داود ٥٥١ وصححه الألباني].

أما علمت أن النبي ﷺ قال: «إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر. ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا» [ابن ماجه ٧٩٧ وصححه الألباني].

أما علمت أن نبي الله ﷺ همَّ أن يحرق بيوت من تركوا الصلاة في الجماعة؟! [متفق عليه].

أما علمت أن صلاة الرجل في الجماعة تزيد على صلاة الفرد بـ٢٧ درجة؟! [متفق عليه].

أسأل الله أن يوفقنا وإياكم إلى لزوم المساجد، وأن يجعلنا وإياكم من عباده الصالحين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

وإن تعجب

نافذة على أعجب العجائب



إعداد/ سامح أحمد أبو الروس
s.tawhed@yahoo.com

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

لا شك أن العجائب كثيرة ومتعددة: معجزات وخوارق للعادات وآيات.. وغيرها من الأشياء التي تُعد من العجائب هي بالنظر إلى قدرة الله عز وجل هينة بسيطة.

فالله عز وجل يخبرنا عن أصحاب الكهف- على سبيل المثال- وقصتهم معجزة من المعجزات الخارقة لكل ما عرفه الناس، وبالتالي يتعجب الناس عند سماعها، ويتساءلون كيف حدث ذلك؟! والإجابة بسيطة.. إنها قدرة الله عز وجل، وإذا عُرف السبب بطل العجب؛ ولذلك عندما أخبر الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف استهلها بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩].

قال ابن كثير: (أي ليس أمرهم عجيبًا في قدرتنا وسلطاننا).

سبحان الله!! مع أن حالهم عجيب وخارق للعادة، إلا أننا إذا نظرنا إلى قدرة الله- عز وجل-؛ زال العجب، لأننا عرفنا السبب وراء هذه المعجزة العظيمة...

والمتأمل يجد أن الله- سبحانه وتعالى- أخبر في كتابه عن عجائب الآيات والمعجزات في الكون، وفي النفس، وفي كل شيء، ومع ذلك لم يشر إلى أنها عجائب، أو أنها معجزات؛ لأن سببها معروف، إنه القدرة العظيمة لخالق قدير.

ولمن أراد العجب حقًا! فإن الله- عز وجل- يرشدنا إلى أعجب العجب الذي ليس له أي دليل يؤيده، أو عقل يقبله، أو سبب يؤدي إليه.. وتأمل في سورة الرعد، وبعد تفصيل الآيات والمعجزات في السموات والأرض بما يبهر العقول، عقّب سبحانه وتعالى على كل هذه المعجزات مخاطبًا كل من تعجب منها بقوله: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد ٥] قال السعدي: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ﴾ من عظمة الله تعالى وكثرة أدلة توحيده، فإن

العجب -مع هذا- إنكار المكذبين، وتكذيبهم بالبعث، وقولهم ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. هذا هو العجب لمن أراد العجب.. الذي يقوله الإنسان أو يفعله بلا عقل أو دليل أو سبب.

وإن تعجب فعجب قولهم... فعجب فعلهم... فعجب حالهم؛ إنهم أولئك البشر، خلق من خلق الله ضعيف؛ خلقهم ويستكبرون، يرزقهم وغيره يعبدون، يرشدهم إلى الخير وهم عنه معرضون؛ يكفرون.. يشركون.. يعصون.. يتنكرون.. أخبارهم عجائب، أفكارهم عجائب، أحوالهم عجائب.

وإن تعجب؛ أخبار كثيرة، أرقام عجيبة، قصص رهيبة، أحوال وأفكار تحكي حال عالم أظلم عندما ابتعد عن الله، وعن شرع الله، وقد صدق من قال: "أيما جهة أعرض الله تعالى عنها؛ أظلمت ودارت بها النحوس"..

- فهناك من يشتري سيارة أميرة من الأمراء بعد موتها بالملايين وإن تعجب.!! فإنه من الفلسطينيين وإخوانه لا يجدون قوت يومهم، هناك من ضاعت صحته بسبب التدخين، وإن تعجب... فإنه ما زال مصرًا على حاله!! هناك أشياء أعجب ربما مما تصوره الملائكة يوم قال الله- تعالى- لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾؟!..

في هذه الصفحات نحاول طرح هذه العجائب، تارة عن طريق أخبار واقعية متنوعة، وتارة أخرى عن طريق رد شبهة من الشبهات المضحكة التي أصبحت عند بعض الناس دينًا، ونعرضها تارة أخرى عن طريق قصص القرآن والسنة.

نقدم فيها منوعات مفتوحة لنماذج مفضوحة، فضحها الله تعالى لتكون أكبر دليل على عجز العقل البشري وقصوره عندما يبتعد عن الوحي والشرع؛ فترى مخترع الصاروخ عابدًا للبقر.. وغير ذلك من النماذج الكثير..

نطرح المضحكات المبكيات؛ لتكون بينات ظاهرات على عظمة الإسلام وسلامة مصدره.

لكن..! في هذه الصفحات.

نحاول عرض هذه النماذج والأخبار والأحوال دون إسفاف أو إخلال، وإنما بمنهج حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - عندما قال: "كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يُدركني". [متفق عليه]؛ توعيةً للقراء بحيل الشياطين، وألاعيب المبطلين الذين يسرقون الأموال والأعمار؛ حتى يتعلم الناس الخير، ويجتنبون الشر.

وإن تعجب.!! فحدث كذلك عن الخير وأهله ولا حرج؛ فالأخبار والأحوال والقصص عن الخير وأهله لا تستوعبها العقول، عباد يسارعون في الخيرات، فلا يستأخرون عنها، وإنما هم دائمًا لها سابقون.

وكيف لا نعجب من أحوالهم وأخبارهم، والله عز وجل يعجب..!! كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ. فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ. فَقَالَ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ؟»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لاِمْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ. قَالَتْ: لاَ، إِلاَّ قُوتُ صِبْيَانِي. قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ. قَالَ: فَقَعَدُوا، وَأَكَلَ الضَّيْفُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ: «قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ». [مسلم ٢٠٥٤].

عجائب من الخيرات، وأخرى تدل عليها، ولكن بضدها.. فبضدها تتميز الأشياء. ننقلها لكم كل شهر بإذن الله مع التنقيح والتعليق النافع في صفحات خفيفة، نناقش فيها الأخبار والقضايا التي تُطرح على الناس، وتلوكها الألسنة بكثرة وكثافة.

لا ننشرها ابتداءً، وإنما نعلق على ما تم نشره فعلاً، عندما يكون غضّ الطرف عنه تقصيرًا وكتمانًا للحق.

وكما فعل العلماء من قوم قارون عندما تحاكى الناس بحال قارون عجبًا؛ قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (القصص ٧٩-٨٠). فهذا التعقيب من الذين أوتوا العلم.. لازم لتثبيت القلوب والعقول.. وهذا هو ما نسعى إليه ونرجوه، والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين.

من أخبار الجماعة

بيان من مجلس إدارة جماعة أنصار السنة المحمدية المركز العام بشأن ما أثير مؤخرًا بوسائل الإعلام المختلفة مما نسب باطلاً إلى الجماعة

صدرت في الآونة الأخيرة بعض الفتاوى الشاذة والمريبة من أحد المنتسبين إلى جماعة أنصار السنة المحمدية، وهو المدعو / محمود لطفي عامر، رئيس فرع أنصار السنة المحمدية بدمنهور، دائرة محافظة البحيرة.

وحيث ترتب على انتشار هذه الفتاوى حدوث بلبلة عظيمة بين جموع المسلمين على مستوى العالم الإسلامي؛ لكونها تتعارض مع المبادئ والأسس التي قامت عليها الجماعة، لذا لزم الرد عليها؛ إبراءً لساحة جماعة أنصار السنة أمام من انتشرت بينهم تلك الفتاوى المغرضة والمضللة؛ حيث أفتى المذكور بجواز تعزير ولي الأمر بالقتل لمن يرشّح نفسه لانتخابات رئاسة الجمهورية أمام الرئيس الحالي، واعتبار من يفعل ذلك من الخوارج.

وحيث إن ما أفتى به المذكور يخالف ما قامت عليه الجماعة من أسس وأهداف؛ إذ من المعلوم أن الجماعة مؤسسة دعوية لها ما يقرب من تسعين عامًا، وهي تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإلى التمسك بما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، ومن أصول الجماعة ومبادئها التي اتفق أهل السنة والجماعة عليها: طاعة الله ورسوله ﷺ وأولي الأمر منهم، ولا نكفّر أحدًا من أهل القبلة بذنب اقترفه، ولا نهدر دمه.

كما أن هذه المسائل الشائكة لا يجوز للأفراد مهما علا كعبهم في العلم أن ينفردوا بالإفتاء فيها، وإنما مرد ذلك إلى المؤسسات الرسمية في الدولة كالأزهر الشريف، ودار الإفتاء، ومجمع البحوث الإسلامية.

والجماعة تشير إلى أن هذه الفتوى فتوى شخصية تلحق من قالها، ولا تمُتّ من قريب أو بعيد إلى جماعة أنصار السنة، والجماعة بريئة منها ومن قائلها، ولا يفوتها أن تبين للمسلمين أن عقيدتها التي تدين لله عز وجل بها هي عدم جواز الخروج على الحُكّام.

كما تهيب الجماعة بالمسلمين قاطبة إلى تقوى الله عز وجل، والإعراض عن مثل هذه الفتاوى الشاذة والمضللة التي تفُتّ في عضُد المسلمين، وتبين الجماعة أن المسئول عما ينسب إليها والمتحدث الرسمي باسمها هو فضيلة الرئيس العام، أو من ينيبه في ذلك.

والجماعة في هذا الشأن بصدد اتخاذ كافة الإجراءات القانونية التي وردت بقانون الجمعيات والمؤسسات الأهلية ولائحته التنفيذية ولائحة النظام الأساسي للجماعة حيال المذكور، وكل من تسول له نفسه نسبة أقوال أو أفعال تُلحِق الضرر بالجماعة.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

د. عبد الله شاكر

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

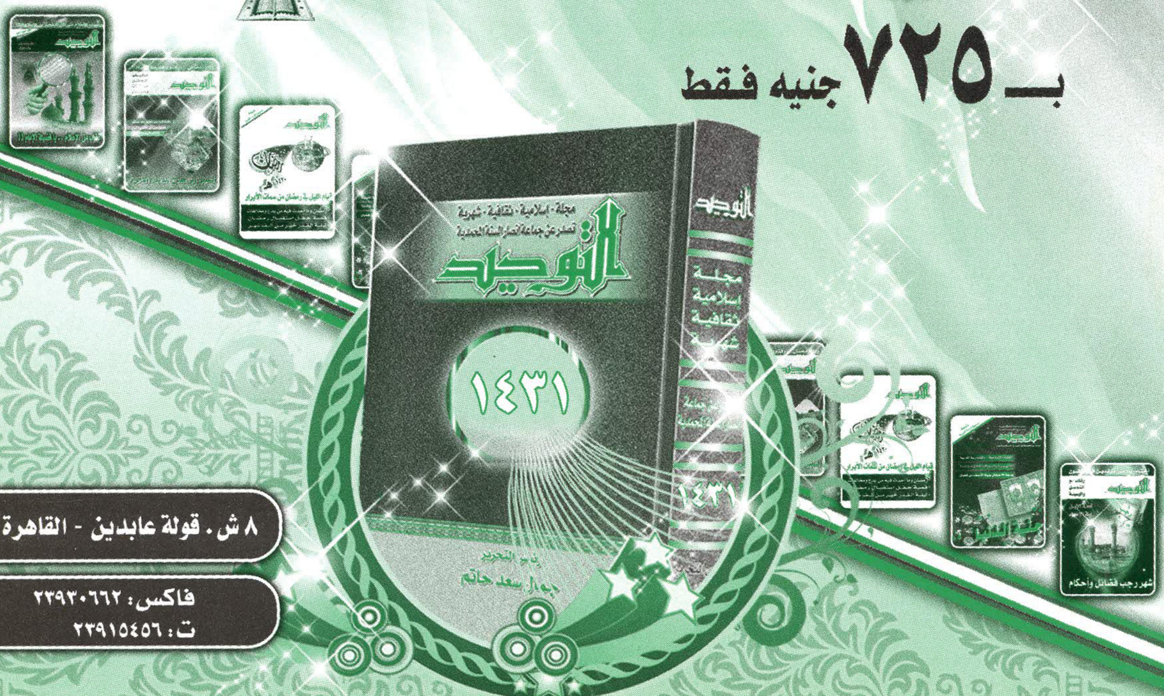
بمعرض القاهرة الدولي للكتاب

بجناح مجلة البيان

- مجلة التوحيد ... لا يستغني عنها مسلم
- تحتوي على علوم الفقه والتفسير والسيرة والفتاوى وغيرها
- المجلدات لأي مكان خارج مصر تباع بـ ٢٦٠ دولارًا شاملة سعر الشحن
- المجلد الجديد لعام ١٤٣١ هـ يباع بـ ٢٥ جنيهًا فقط

٣٩ عامًا

بـ ٧٢٥ جنيه فقط



٨ ش. قولة عابدين - القاهرة

فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

مجلة البيان إسلامية عالمية شهرية جامعة





اشترك الآن مجاناً بمجلة البيان

تصميم الفاروق: 0107492025

الآن وبكل يسر يمكنك الاشتراك بشكل
أكثر من مجانى في درتكم الغراء (مجلة البيان)
وذلك بالإشتراك تحصل مجانا علي ....
ما قيمته أكثر من قيمة الإشتراك وهو :



مجانا 1. قرص مدمج لـ 250 مائتى وخمسون عددا للمجلة مذ بداية إصدارها (سعر 50 ج)

مجانا 2. كارت يحمل ٪20 عشرون بالمائة خصماً حقيقياً لإصداراتنا (سعر 25ج سنويا)

مجانا 3. تفسير السعدي (بيروت) (سعر 40 جنيهاً)

مجانا 4. هدايا من كتب قيمة خلال العام مع الأعداد (أكثر 25ج تقريباً)

مجانا 5. الإشتراك بمسابقات البيان الثقافية الإسلامية (جوائز قيمة) عمرة؟!

*** قيمة الإشتراك (فقط 85 جنيها) داخل جمهورية مصر العربية . المجلة تصلك حيثما كنت .

منسق التعاقد و الإشتراكات والشكاوى : 0193737942
0101537299

وكلاؤنا بالمحافظات :

- القاهرة : دار الصفوة - دار السنة
- مكتبة سلسبيل (العزيز بالله) - كشك الصحافة بالعباسية
- الاسكندرية : الخلفاء - الفتح - بنك الحسنات
- الجيزة : مكتبة الرحمة (هرم) - الهدي (فيصل)
- القليوبية :المكتبة العلمية
- المنصورة : صفاء الدين -المودة - الإيمان
- طنطا : الصحابة - الأندلس
- السويس : اشبيلية - ابوبكر الصديق
- بور سعيد: مكتبة الازهر
- كفر الشيخ : مكتبة صلاح الدين
- البحيرة : الخليل (دمنهور) - دار العلوم (أبو حمص)
- - عباد الرحمن (كفر الدوار)
- المنوفية : دار المعارف (شبين الكوم)
- دمياط : الحسن و الحسين - أسواق المجد
- أسوان : دار أنصار السنة

* مطلوب وكلاء بالصعيد